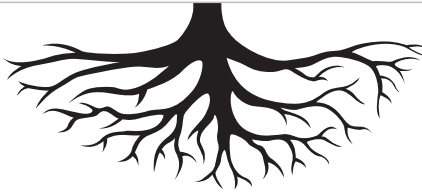


القائد الناصح وجدانياً



كيف يُحدث تغيير حياتك الداخلية تغييراً عميقاً
في كنيستك ومجموعتك والعالم



بيتر سكزيرو

ترجمة: د. أوسم وصفي



ophir

Originally published in English by The Zondervan Corporation L.L.C. a subsidiary of HarperCollins Christian Publishing, Inc. under the title:
The Emotionally Healthy Leader by Peter Scazzero.

Copyright © 2015 by Peter Scazzero.

Arabic Edition Copyright © 2020 by **Ophir Printers & Publishers**.

Published by arrangement with The Zondervan Corporation L.L.C. a subsidiary of HarperCollins Christian Publishing, Inc.

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means – electronic, mechanical, photocopy, recording or any other – except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

القائد الناضج وجدانيًا

الطبعة العربية الأولى ٢٠٢٠م

حقوق الطبع محفوظة

أوفير للطباعة والنشر

ص.ب. ٣٠٦٢، عمان ١١١٨١، الأردن

هاتف: +٩٦٢ ٦ ٤٦٣ ٣٣٨١

Email: info@ophir.com.jo

www.ophir.com.jo



رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٣/١١٨٦

ISBN 978-90-5950-279-6

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

المحتويات

٩	رحلتي في القيادة غير الناضجة وجدائياً
	الفصل الأوّل:
٢٩	القائد غير الناضج وجدائياً

الجزء الأوّل الحياة الداخليّة

	الفصل الثاني:
٦٧	واجه جانبك المُظلم
	الفصل الثالث:
١١١	فُدِ انطلاّقاً من حياتك الزوجيّة أو حياة العزوبة
	الفصل الرابع:
١٥٩	هدّئ من إيقاعك لتتألّ رباط المحبّة
	الفصل الخامس:
١٩٩	مارسِ الابتهاج بالراحة الأسبوعيّة (السبت)

الجزء الثاني الحياة الخارجية

الفصل السادس:

٢٤٩ التخطيط واتخاذ القرار

الفصل السابع:

٢٩٧ بناء الثقافة والفريق

الفصل الثامن:

٣٣٥ السُّلطة والحدود الصحيّة الحكيمّة

الفصل التاسع:

٣٧٩ النهاياتُ والبدايات الجديدة

٤٢٥ الخاتمة

الملحق ١:

٤٢٧ سمات الكنيسة المتغيرة بفضل الروحانيّة الناضجة وجدانياً

الملحق ٢:

٤٣٣ ورقة عمل قانون الحياة

الملحق ٣:

٤٣٥ مخطّط شجرة العائلة

٤٣٧ شكرٌ وعرقان

٤٣٩ الملاحظات

رحلتي في القيادة غير الناضجة وجدائياً

نشأت في أسرة أميركية من أصل إيطالي في ضاحية من ضواحي ولاية نيو جيرسي تبعد أقل من كيلومترين عن منطقة ناطحات السحاب في مانهاتن (نيويورك). ومع أننا كنا نعيش على بُعد دقائق من إحدى أكثر مدن العالم تنوعاً، فإن حياتنا كانت تتميز بضيق الأفق الشديد - عرقياً واجتماعياً وروحياً. عندما صرتُ في سنّ العاشرة تقريباً، أذكرُ أنّ أبي ألقى ذات يومٍ ملاحظةً عابرةً قائلاً إنّنا أسرةٌ كاثوليكيةٌ تعيش في مدينةٍ أغلبيتها الساحقة من البيض الأنغلو ساكسون البروتستانت (WASP). شعرتُ بالتعجب الشديد؛ لأنّ كلّ أصدقائنا كانوا من الكاثوليك وأغلبهم كانوا إيطاليين. فماذا يُمكن أن يكون المرءُ غير ذلك؟

كان والدي مُتميّباً بشدّةٍ إلى الكنيسة، لكنّ أمّي لم تكن كذلك. كانت تُحبُّ العَجَرَ وقراءة الطالع وبطاقات التاروت، علاوةً على مجموعةٍ أخرى متنوّعة من الخرافات التي جرى تناقلها من جيلٍ إلى جيلٍ في أسرتها الإيطالية. مثلاً، عندما كنّا نمرض، كان أوّل أمرٍ تفعله أمّي هو أن تتصلَ بسيدةٍ اسمها جوزي "البدينة" (Fat Josie)،

والتي كانت وسيطةً روحانيّةً تتلو بعض الصلوات علينا لتعرفَ ما إذا كنّا قد أصبنا "بعين شريرة"، أي أنّ أحدَهُم وضعَ علينا لعنةً. ثمّ كانت تُعطي تفاصيل الخطوات الضروريّة لإزالة "الطالع السيئ" من علينا.

كنتُ وإخوتي وأخواتي الأكبر نرفضُ الكنيسة والخرافات الإيطاليّة على حدّ سواء. في مرحلة مراهقتي، تركَ أخي أنطوني الجامعة والتحق بالكنيسة التوحيدية (Unitarian Church) التي أسسها سون ميانغ مون (Sun Myung Moon) الذي أعلنَ نفسه مسيحًا للعالم. وكان هذا مدمرًا لأبي وأمي. أمّا أنا فعندما بلغت السادسة عشرة كنتُ قد أصبحتُ لأدريًا تمامًا، وإلاّ فإنّي كنتُ سأتبع خطى أخي ذاتها. وضعتُ هذه الخيارات الباكرا كِلينا على بداية رحلة روحية استمرّت إلى يومنا هذا، وإنّ كنّا وقتها لا ندري ذلك. ظلّ أخي عضوًا ملتزمًا في الكنيسة التوحيدية، أمّا أنا فقد اجتزّت في تحوُّلات جذريّة في حياتي.

رحلة روحية ذات أربعة تحوُّلات

عندما أقول للناس إنّي اجتزّت أربعة تحوُّلات في حياتي، فإنّي أعني ذلك حرفيًا. في واقع الأمر كانت تحوُّلات دراميةً غيرت مسارَ حياتي تمامًا.

التحوُّل الأوّل: من شخصٍ لأدريّ إلى قائِدٍ مسيحيّ غيور

مثل كثيرين من أصدقائي، أمضيتُ معظم سنوات مراهقتي أبحثُ عن الحُبّ المثاليّ في كلّ الأماكن الخطأ. لكنّ كلّ شيءٍ تعيّر في السنة الثانية في الجامعة عندما دعاني أحد أصدقائي إلى حفلٍ موسيقيّ في كنيسة خمسينيّة صغيرة قريبة من الحرم الجامعيّ. وفي نهاية الحفل، قدّم قائد التسييح دعوةً إلى مَنْ يريدون أن يقبلوا المسيح، وطلبَ أن يرفعَ مَنْ يرغبون في ذلك أيديهم. عندما أروي هذه القصة فإنّي عادةً ما أقول: "لقد رفع الله يدي دون استئذاني". هذا بالتأكيد ما شعرتُ به. عندما قدّمت الدعوة

المنبرية، اندفعت من كرسيّ كالبرق وركضتُ إلى الأمام رافعاً يديّ كلتيهما. لم أكن أعرف الفرقَ ما بين العهدين القديم والجديد، لكنَّ كلَّ ما أعرفه هو أنّي كنتُ أعمى والآن أبصر. كما أنّي عرفتُ أنّ الله، دون شكّ، قد غيرني وسكبَ محبته في قلبي. وفي غضون تسعة شهور، أصبحتُ رئيسًا لمجموعةٍ مسيحيةٍ مكوّنةٍ من ستين طالبًا، أفود وأعلم ما كنتُ قد تعلمته في الأسبوع السابق.

كان هذا عام ١٩٧٦ م. شعرتُ عندئذٍ بالعرفان العميق على محبة يسوع الذي عاش ومات بالنيابة عني، حتّى إنّي لم أستطع إلا أن أشارك هذه الأخبار السارة مع كلِّ مَنْ لديه استعدادٌ للاستماع، بما في ذلك أُسرتي. لقد كانت لي مع أبي حواراتٌ روحيةٌ طويلة. ذات مرّة في عطلة نهاية الأسبوع، كنّا جالسين في غرفة المعيشة عندما حاولتُ مرّةً أخرى أن أشاركه بالمسيح، لكنّه ظلّ متشككًا.

”يا بيت (مختصر اسمي) إذا كان ما تقوله حقيقةً، فلماذا لم أسمع من قبل عن موضوع العلاقة الشخصية هذا؟“. صمتَ قليلاً، ثمّ استطعتُ أن ألاحظَ مزيجًا من الغضب والحزن على وجهه وهو ينظر من خلال نافذة غرفة المعيشة قائلاً: ”لماذا لم يتكلّم أحدٌ إلى أخيك قبل أن يدمر حياته... وقبل أن يدمر أُسرتنا؟“. ثمّ نظَر إليّ مرّةً أخرى وأشاح بيده، وقال: ”أين كلُّ هؤلاء المسيحيين الذين تتكلّم عنهم؟ كيف لم أقابلُ أيًا منهم حتّى الآن بعد أن بلغتُ السادسة والخمسين؟“.

لم أقل شيئاً؛ لأنّي كنتُ أعرف الإجابة. أغلب المؤمنين بالمسيح، ولا سيّما الذين نشأوا في بيوت إنجيلية، كانوا معزولين عن العالم الأميركيّ الإيطاليّ الذي نعيش فيه. ورُغم أنّ والدي قد سلّم حياته للمسيح في وقتٍ لاحق، فلا يمكنُ أن أنسى ذلك الحوار، فقد أشعل ناراً في عظامي منذُ ذلك الحين، فأخذتُ على عاتقي أن أصنع جسراً فوق تلك الهوة، وأشارك الإنجيل مع كلِّ مَنْ لديه استعدادٌ لأن يسمع. استمررتُ مسيرتي في الخدمة والقيادة المسيحية عندما انصممتُ إلى فريق عمل

رابطة الطلاب المسيحيين الجامعيين (InterVarsity Christian Fellowship)، وهي خدمة مسيحية عابرة للطوائف تعمل ما بين الطلبة الجامعيين. وفي أثناء عملي هذا، سافرتُ ما بين نيو جيرسي ومدينة نيويورك للوعظ في الأماكن المفتوحة، ولتشجيع الطلبة المؤمنين على مشاركة المسيح مع أصدقائهم وزملائهم. وفي السنوات الثلاث التي كُنتُ فيها في فريق العمل هذا، شهدتُ حياة كثيرين تتغيرُ بصورة جذرية بعمل المسيح يسوع. وفي الوقت نفسه، أصبح ينمو داخلي تثقلُ مُجاهة الكنيسة. كُنتُ أتساءل عمّا يمكن أن يحدث إذا ما انتقل الغنى والحيوية اللذين كُنتُ أراهما في خدمة الطلبة الجامعيين إلى حياة الكنائس المحليّة وخبراتها. كيف يُمكن أن ينتشر مجدُ المسيح إلى ما هو أبعد إذا تغيرتُ كنيسةُ بأكملها ونالتِ التشجيعَ بكافّة مراحلها العمرية؟

فتحركتُ لكي أُعدّ نفسي للقيادة الكنسية بدارسة امتدتْ ثلاث سنوات ما بعد مرحلة البكالوريوس في كليتي لاهوت پرنتون (Princeton) وغوردون كونويل (Gordon-Conwell)، وفي أثناء ذلك، تزوّجتُ بجيري (Geri) التي كانت صديقتي مدّة ثماني سنوات، وكانت قد تفرّغت للخدمة في رابطة الطلاب الجامعيين التي كُنتُ فيها. وبعد التخرُّج في كليتي اللاهوت بقليل، انتقلنا إلى كوستاريكا (في أميركا الوسطى) مدّة سنة لدراسة الإسبانية. لقد كانت رؤيتي أن نعود إلى نيويورك لنبداً كنيسةً تتجاوزُ الحواجز العرقية والثقافية والاقتصادية الكثيرة الموجودة هناك.

وعندما عدنا إلى نيويورك، خدمتُ مدّة سنة راعياً مُساعدًا في كنيسة للمهاجرين الناطقين بالإسبانية، وكُنتُ أدرّس في كليّة لاهوت تُدرّس فيها الموادّ بالإسبانية أيضًا. في أثناء تلك السنوات، أتقنتُ وجيري اللغة الإسبانية، كما انغمسنا في عالمٍ يضمُّ مليوني مهاجرٍ دون أوراق رسمية من أماكن عدّة حول العالم، وصادقنا أشخاصًا هربوا من فرق الإعدام في السلفادور، وعصابات المخدرات في كولومبيا، والحرب الأهلية في نيكاراغوا، والفقر المدقع في المكسيك وجمهورية الدومينيكان.

لقد كان هذا بالضبط الإعداد الذي كنا نحتاج إليه كي نوَسَّسَ الكنيسةَ التي أردناها في القسم الذي تقطنه الطبقة العاملة متعدّدة الثقافات في حيّ كوينز (Queens) في مدينة نيويورك، حيث أكثر من ٧٠٪ من سكّان هذا الحيّ البالغ عددهم ٤, ٢ مليون نسمة، مولودين خارج الولايات المتّحدة الأميركيّة. كما أنّ هذا الوقت أيضًا عمل على تشكيل فهمنا لقوّة الإنجيل والكنيسة، ومقدار ما يُمكن أن تعلّمه الأغليبيّة الفقيرة المهّمّشة للكنيسة الثريّة في أميركا الشماليّة.

في أيلول/ سبتمبر سنة ١٩٨٧م، حضر خمسة وأربعون شخصًا أوّل خدمة عبادة لكنيسة "الحياة الجديدة". وقد تحرّك الله بقوّة في تلك السنوات الأولى، ولم يمرّ وقتٌ طويلٌ قبل أن تنمو الرعيّة لتصل إلى ١٦٠ شخصًا. وبعد ثلاث سنوات، بدأنا في مبنى الكنيسة نفسه اجتماعًا باللغة الإسبانيّة. وبحلول نهاية السنة السادسة، وصل عدد الحضور في الخدمة الإنكليزيّة إلى ٤٠٠ شخص، والإسبانيّة إلى ٢٥٠ شخصًا. لقد كانت خبرةً مثيرةً ومُشجّعة لراعٍ شاب. كان الناس يأتون إلى المسيح، والفقراء يتلقّون الخدمة بأساليبٍ جديدةٍ مُبدعة. كان المزيد من القادة يظهرون والمجموعات الصغيرة تتكاثر، وكنا نُطعمُ المشرّدين، ونزرع كنائس جديدة. لكن لم يكن كلُّ شيء على ما يرام تحت السطح، لا سيّما في حياتي الشخصية.

التحوّل الثاني: من العمى الوجدانيّ إلى الصّحة الوجدانيّة

كانت روحي تتقلّص وتنكمش.

كنا دائمًا نشعر بأنّ لدينا الكثير ممّا يجب أن نفعله، والقليل من الوقت لنقوم بذلك. ومع أنّ الكنيسة كانت مكانًا مثيرًا للفرح والحماسة، فلم يكن هناك أيُّ فرحٍ وسط فريق القيادة. واجباتٌ لا تنتهي، ومسؤوليّاتٌ لا تلتقى الشكر. وبعد العمل، لم يكن لديّ ما يكفي من الطاقة لأكون أبًا لطفليّ الصغيرين، أو أن أستمتع بالوجود

مع زوجتي. وسرًا كنت أحلم بالتقاعد، ولم أكن قد تجاوزت منتصف الثلاثينيات من عمري. وفي الوقت نفسه، صارت تراوذي كل ألوان الشكوك في القيادة المسيحية. هل يتحتم على القائد المسيحي أن يكون بائسًا ومضغوطًا حتى يختبر آخرون فرح الرب؟ فهذا ما كنت أشعرُ به.

كنتُ أصارعُ مع الحسد والغيرة من غيري من الرعاة الذين كانوا يتمتعون برعياتٍ أكبر، ومباني كنسيةٍ أجمَل، وحالٍ أسهل. لم أُرِد أن أكون مُدمنًا على العمل مثل والدي أو الرعاة الآخرين الذين كنتُ أعرفهم. كنتُ أريدُ أن أشعر بالرضا في الربِّ، وأخِدم بالإيقاع غير المُتعبَل الذي كان يميّز خدمة يسوع. لكنَّ السؤال المطروح كان: كيف؟

بدأ قاعُ حياتي ينهار في خريف عام ١٩٩٤م عندما انفصلتِ الخدمة الإسبانية لتكونَ كنيسةً مستقلةً. لا يُمكن أن أنسى الصدمة التي شعرتُ بها يوم دخلتُ هذه الخدمة لأجد متبني عضوٍ غير موجودين؛ إذ لم يبقَ منهم إلا خمسون. لقد غادروا كي يؤسسوا كنيسة جديدة. أشخاص قُدمتُهم إلى المسيح وتلمذتهم وكنتُ راعيهم على مدى سنوات - مضوا كلُّهم دون أن يقولوا كلمة.

عندما حدثَ ذلك الانقسام، تلقَّيتُ كلَّ اللوم جرَّاء المشكلات التي قادتُ إلى ذلك الانقسام. حاولتُ أن أتبع نموذج يسوع في الصمت عند الاتهام، كشاة تُساق إلى الذبح (إشعيا ٥٣: ٧). وكنتُ أقول لنفسي مرارًا: "تحمَّل يا بيت. لو كان يسوع مكانك، لتحمل الأمر". لكنني كنتُ في الوقت نفسه أضجُّ بالمشاعر المتضاربة والمتصارعة. لقد شعرتُ بالجرح العميق والغضب من الراعي المُساعد الذي قاد الانفصال. مثل كاتب المزمور، شعرتُ بألم الخيانة ممن كنتُ أحسبه "إلني وصديقي، الذي كانت تحلو لنا العشرة" (مزمور ٥٥: ١٤). لقد كنتُ ممتلئًا بالثورة والكرهية، وهي مشاعر لم أستطع التخلص منها مهما حاولتُ أن أترك وأغفر وأطلق. وعندما

كنتُ أصير بمفردي في سيارتي، كانت الشتائم تخرجُ من فمي بصورة تكاد تكون عفوية. "إنَّه [شتيمة وشتائم]".

لقد أصبحتُ الآن "الراعي الشَّام". لم يكن لديَّ التفسير اللاهوتيُّ لما كنتُ أختبره، ولا كان لديَّ الإطار الكتابيُّ الذي يشرحُ لي حزني ونوحي. المُفترض والمنظر من الرُّعاة المسيحيِّين الجيِّدين أن يُجَبِّوا الآخرين ويغفروا لهم. لكنِّي لم أكن كذلك. عندما شاركتُ حالتني مع زملائي الرُّعاة، كانوا يخشون عليَّ أن أكون على شفير السقوط في هاوية بلا عودة. لقد كنتُ أدركُ أنَّي غاضبٌ ومجروح، لكنِّي ظللتُ على مستوى أعمق غير واعٍ بمشاعري الحقيقيَّة وبحقيقة ما يجري في حياتي الداخليَّة. كانت مُشكلاتي الكبرى حينها ليس توابع الانقسام الذي حدث في الكنيسة، بل كانت أن مشاعر الألم راحت تتسرَّب وتخرج منِّي بأساليب مدمِّرة، ولا أستطيع أن أتحكَّم فيها. كنتُ بغضبٍ أنتقدُ الراعي المُساعد الذي ترك الكنيسةَ أخذًا معه منِّي عضو. وقلْتُ لجيري إنِّي لم أعد واثقًا ما إذا كنتُ أريدُ أن أظلَّ راعياً لكنيسة، بل لم أعد أثقُ بأنِّي أريدُ الإيمانَ بالمسيح حتَّى! كانت النصيحةُ الأكثرُ فائدةً التي تلقَّيتها في ذلك الوقت هي أن عليَّ أن أذهبَ إلى مُشيرٍ مسيحيِّ.

حجزتُ مع جيري موعدًا وذهبنا، لكنِّي كنتُ أشعرُ بالذُّلِّ والمهانة كالطفل الذي يذهبُ إلى مكتب مدير المدرسة لأنَّه فعل أمرًا خطأً. في جلساتي مع المشير، كنتُ ألقى باللوم على كلِّ ما ليس فيَّ، من مشكلات حدثت، أو من تعقيدات الخدمة في مكان مثل كوينز، والمطالب التي لا تنتهي لخدمة زرع الكنائس، وجيري، وأطفالنا الأربعة، والحرب الروحيَّة، والقادة الآخرين، وغياب غطاء الصلاة. ولم يخطر ببالي بعد أن أصل المشكلات موجود في داخلي أنا.

استطعتُ بصورةٍ ما أن أحافظ على الحياة والخدمة مستمرَّةً لسنةٍ أخرى قبل أن أرطَمَ بالقاع الحقيقيِّ. في الثاني من كانون الثاني/يناير، ١٩٩٦م، قالت لي جيري

إنَّها ستترك الكنيسة.^١ لقد كانت هذه نهاية الأوهام التي كانت لديَّ عن براءتي وعدم مسؤوليَّتي عن كلِّ ما يحدث في حياتي من فوضى. أخبرتُ شيوخ الكنيسة بقرار جيري، واعترفتُ بعدم يقيني بما يجب أن يحدث بعد ذلك. اقترح الشيوخ أن أشارك مع جيري في خلوة مكثَّفة مدَّة أسبوع لمحاولة ترتيب الأمور. فحزمتنا حقائبنا وأمضينا خمسة أيام كاملة مع مُشيرين في أحد المراكز القريبة منَّا. لقد كان هدفي في ذلك الأسبوع أن أجد طريقةً سريعةً أُصلِحَ بها ما حدث لجيري، وأضع نهايةً لأننا الشخصيَّ والزَّوجيَّ كي نعودَ بسرعةٍ إلى المسار المعتاد للحياة والخدمة. أمَّا ما لم أتوقَّعه فهو أنَّي كنتُ على موعد مع لقاء مع الله مُغيِّر للحياة.

لقد كان هذا هو تحوُّلي الثاني، وكان كثير الشَّبَه بالأوَّل، لقد اخترتُ حقيقةً أنَّي كنتُ أعمى وبغته نلتُ البصيرة. لقد فتح الله عينيَّ كي أرى أنَّي كائن إنسانيّ، ولستُ مُجرَّد فاعلٍ إنسانيّ، ممَّا سمَّح لي بأن أحسَّ بالمشاعر الصعبة مثل الغضب والحزن. لقد صرتُ أدركُ التأثير الكبير للأسرة التي نشأتُ فيها في حياتي وزواجي وأسلوب قيادتي. ورُغم أنَّي شعرتُ بالصدمة لمواجهة كلِّ ذلك، فقد جعلني الوعيُّ الجديد أختبرُ حريَّةً جديدة. لقد توقَّفتُ عن التظاهر بما هو ليس حقيقيّ، وأخذتُ الخطوات الأولى كي أشعرَ بالراحة في شخصيَّتي الحقيقيَّة "بيت سَكزيرو" الإنسان الذي لديه تلك المجموعة الفريدة من نقاط القوَّة ونقاط الضعف والمشاعر. واكتشفتُ وجيري حقيقةً أنَّ المحبَّة هي مقياس النضج الحقيقيِّ وليس العمل، وأعدتُ ترتيبَ أولويَّاتي كي أضعَ زواجي قبل خدمتي.^٢

لكنَّ هذا التحوُّل الثاني جعلني أواجهُ حقائق مؤلمةً لم أستطعُ أن أنكرها بعد الآن. إنِّي رضيع وجدانيًا أحاول أن أربي أمهاتٍ وآباءً روحيين. لقد كانت هناك مناطق كبرى من حياتي ظلَّت بعيدةً من لمسة يسوع المسيح. مثلًا، لم أعرف كيف أقوم بشيء بسيط كأن أكون موجودًا وأستمعَ بعُمقٍ حقيقيٍّ لشخصٍ آخر. ومع أنَّي كنتُ

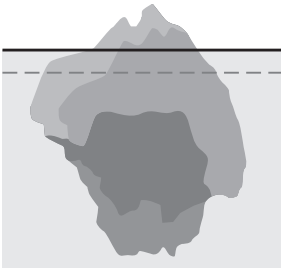
الراعي المسؤول في كنيسة كبيرة ونامية؛ وتلقيتُ تدريبيًا في كليتي لاهوت مرموقتين، وحضرت أفضل مؤتمرات القيادة، وصار لي سبع عشرة سنة في أتباع أمين ومُكرّس للمسيح، فقد كنتُ لا أزال قزمًا روحيًا ونفسيًا.

وعلى مدى عشرين سنة تقريبًا، ظللتُ أتجاهلُ المكوّن النفسي لثُمويّ الروحيّ ولعلاقتي بالله. مهما كان عدد الكُتب التي يُمكن أن أقرأها، أو المدى الذي كَرّست به نفسي للصلاة، فسوف أظلُّ عالقًا في تلك الدورات المتكرّرة من الألم وعدم النُضج وذلك حتّى أسمحَ ليسوع المسيح بأن يُغيّر تلك الأمور في حياتي التي لا تزال تحت السطح.

لقد اكتشفتُ أنّ حياتي تُشبه كثيرًا جبل الجليد؛ إذ كنتُ أدركُ فقط جزءًا بسيطًا منه، في حين يقع الجزء الأكبرُ تحت سطح الماء، دون أن أدري شيئًا عنه. وهذه الكتلة الغاطسة هي ما يتسبّب في كلِّ الاضطرابات التي تحدث في أسرتي وكنيستي، وتؤثر في حياتي بوصفي زوجًا وأبًا وقائدًا مسيحيًا.

نموذج جبل الجليد

ما يقع تحت السطح



لم يكن ممكنًا أن أكتشف العلاقة الوثيقة ما بين الصّحة الوجدانيّة والنّضج الروحيّ، قبل أن أفهم أنّ يسوع المسيح لم يكن قد غيّر بعد هذه المكوّنات العميقة من حياتي، وأنّ من غير الممكن أن أكون ناضجًا روحيًا وأنا لا أزال غير ناضج وجدانيًا. وفي الشهور والسنين التي تلت، تغيّرتُ وجيري كثيرًا من جهة الطريقة التي نعيش ونخدم بحسبها. بدأنا أن نعملُ فقط

خمسة أيّام في الأسبوع وليس سنّة أيّام ونصف كما اعتدنا من قبل. وقد أصبحت من قيمنا المحوريّة أن نقود قيادةً نابعةً من شعورنا العميق بالانكسار والضعف،

وأن تكون المحبة الحقيقية أبرز مهمة ننجزها في عملنا من أجل الله. أبطأنا قليلاً من إيقاع الخدمة في كنيستنا - "كنيسة الحياة الجديدة". وفي الوقت الذي كنا فيه نعوص عميقاً تحت السطح في حياتنا التي تُشبه جبل الجليد الغاطس، كنا أيضاً ندعو كلَّ القادة لأن يفعلوا الشيء نفسه، وكانت النتيجة ثورةً شاملةً في طريقة النَّظَر إلى كلِّ شيء. وهكذا ازدهرت رحلة إيماني وتكريسي للمسيح، وانسحب الأمر ذاته أيضاً على أسرتي وخدمتي في الكنيسة.

التحول الثالث: من النشاط المحموم إلى الروحانية المتأنية

في بداية حياتي المسيحية، كنتُ شغوفاً بمحبة يسوع. كان وقت خلوتي معه هو أعلى أوقاتي، حيث أقرأ الكتاب المقدس وأصلي. لكن سرعان ما حلَّ النشاط (أي أن "أعمل" من أجل يسوع) محلَّ الجانب التأمليّ من حياتي (أي أن "أكون" مع يسوع). لقد تعلمتُ منذ وقت باكر من حياتي المسيحية أهمية وقت الصلاة والعبادة اليوميّ، لكنني بعد أن دخلتُ حياة الخدمة والقيادة المسيحية، لم يكن وقت الخلوة اليوميّة كافياً. لم يمض وقتٌ طويلٌ قبل أن انخرطتُ في المزيد من النشاط من أجل الله أكثر ممّا يستطيع أن يمتل الوقت الذي كنتُ أمضيه مع الله.

حدث تحوُّلي الثالث في العامين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤م، عندما تقدّمتُ وجري، بإجازة سبتيّة مدّة أربعة شهور. كنتُ أقرأ عن الحركات الرهبانيّة منذ سنوات دراستي في كليّات اللاهوت، والآن صار لديّ الوقت والمساحة الكافيين لأتعلم المزيد عنها. زُرنا الكثير من الأديرة (البروتستانتية والأرثوذكسية والكاثوليكية)، واعتنقنا الإيقاعات الرهبانيّة للصمت والصلاة والتأمل في الكتاب المقدس.

وعندما انتهت إجازتُنا السبتيّة أجرينا تعديلاتٍ جذريّةً للإبطاء من إيقاع حياتنا المحموم. وأصبح قضاء الوقت في الصمت والاختلاء، والبرنامج الروحيّ اليوميّ، والسبت الأسبوعيّ، تمثّل أساساً انضباطاتنا الروحيّة. لقد اخترنا الكثير من الفرص

والحرّيّة في مسيرتنا مع المسيح، وفي علاقتنا الزوجيّة حتّى إنّنا صرنا نتساءل ما إذا كان الله يدعونا كي نترك تلك الحياة ذات الإيقاع المُتسارع في نيويورك، وننتقل إلى مكان أكثر هدوءًا. لكن سرعان ما صارَ جليًّا لنا أنّ هذه الانضباطات ضروريّة لنا كي نستطيع البقاء في كوينز والاستمرار في قيادة الكنيسة.

وعندما بدأنا في التعليم عن الروحانيّة التأمليّة (التي أعرفها بأنّها تهدئة إيقاعنا كي نكون مع يسوع)، والرّبط ما بينها وبين كلّ ما كنّا نُعلّمه عن الصحّة الوجدانيّة، اجتاحت كنيستنا قوّةً روحيّةً عظيمة. في كلّ خدمة- من المجموعات الصغيرة إلى خدمات الأحد، إلى الأحداث التدريبيّة- اختبر الناس دفعةً جديدةً في علاقتهم بالمسيح، واختبرتُ أنا دفعةً جديدةً في قيادتي للكنيسة.

توقّفتُ عن الصلاة لله كي يُبارك أهدافي، وبدأتُ أصليّ من أجل مشيئته هو.

تعلّمتُ أن أنتظرَ الرّبَّ من أجل الرّبِّ نفسه، وليس من أجل بركته.

كنتُ أعملُ أقلّ، في حين يعملُ الله أكثر.

وتبنيتُ رؤية أكثر اتّزانًا لله القريب البعيد، المتنازل والمتسامي، وأدركت عمله الذي يعملُه فينا، والذي يعملُه مُتجاوزًا إيّانا في الوقت نفسه. وبدأتُ أقيسُ نجاح الخدمة بمقدار التغيير الحقيقيّ والعميق الذي يحدثُ في حياة الناس، وليس فقط بعدد الحضور والعطاء المادّيّ. وكان التأثير مُدهشًا حتّى إنّني شعرتُ بأنّي مدفوعٌ لأن أكتب عمّا يعملُه الله ما بيننا. وكانت النتيجة هي أن نُشر كتابي «الروحانيّة الناضجة وجدانيًّا»* (*Emotionally Healthy Spirituality*) عام ٢٠٠٦م. كانت الكنيسة تنمو، وحياة الناس تتغيّر. وشعرتُ بمزيدٍ من القوّة في الشخصيّة وفي الأداء المهنيّ. لكنّ ظلّت هناك منطقة غير ملموسة في جيليّ الجليديّ، وهي القيادة نفسها.

* هذا الكتاب من منشورات أوفير للطباعة والنشر (الناشر).

التحول الرابع: من السطحية إلى الأمانة في القيادة

مع أن الكنيسة كانت تزدهر على مستوياتٍ عدّة، فقد ظلّ هناك قدرٌ كبيرٌ من الانفصال بين ما تعلّمته عن الصّحة الروحيّة والوجدانيّة من جهة، ودوري القياديّ من جهةٍ أخرى بصفتي راعياً مسؤولاً للكنيسة. فمع أنّي كنتُ أطبّق مبادئ الروحانيّة الناضجة وجدانيًا في حياتي وأسرتي والمجموعات الصغيرة ومجهدات التلمذة في كنيستنا، فلم أكنُ أطبّق المبادئ نفسها في قيادتي. وأصبحتُ أشعر بالحاجة لأنّ أغرس الروحانيّة الناضجة وجدانيًا على مستوى أعمق في النظام المؤسسيّ، لكنّي لم أدر كيفيّة القيام بذلك. وعندما قرأتُ كُتُبًا وحضرتُ حلقات دراسيّة، صار جليًا عندي أنّ أغلب القادة لم يستطيعوا القيام بذلك، كما لم أستطع أنا ذلك أيضًا، على مدى سنواتٍ طويلة.

كنتُ أتجنّب اتّخاذ القرارات بشأن أعضاء فريق العمل، أو إدارة الفريق والمتطوّعين الرئيسيّين، ولم أكتب وصفًا وظيفيًا دقيقًا لكلّ الوظائف، كما لم أخصّص الوقت للتخطيط للاجتماعات، ولا عملتُ على متابعة تفاصيل المشاريع. وفي مرّاتٍ نادرة، عندما كنتُ أفعلُ هذه الأمور، كنتُ أفعلها بتردّد بالغ. كنتُ أرى بوضوح الأمور التي يجب أن تُفعل، لكنّي كنتُ أريد أن أتركها لشخصٍ آخر ليفعلها.

لأنّي شعرتُ بأنّ أمورًا كثيرةً تغمرنني إذ يجب عمَلها والاهتمام بها (عظات، قرارات رعوويّة، أحداث تدريبيّة للقادة، أزّامات ما بين القادة والرعيّة)، كنتُ أندفعُ وأودّي مسؤوليّات القيادة الأصعب بصورةٍ سطحيّةٍ عابرة.

- كنتُ أتجنّب الاجتماعات التي كنتُ أعرف أنّها ستكون صعبةً وضاغطة.
- كنتُ أتجنّب الصّدق التامّ في التعبير عن الحقيقة عندما يكون ذلك صعبًا وغير مريح.
- كنتُ أتجنّب تقييمات الأداء عندما يكون أداء أحدِهِم ضعيفًا.

- لم أطرح الأسئلة الصعبة، ولم أتكلّم بوضوح عندما يكون شيء ما خطأ.
- كنت أحضر الاجتماعات المهمّة دون تمضية وقتٍ كافٍ لأستوضح أهدافي منها، أو أفكّر جيّدًا مُصليًا في القرارات التي يجب اتّخاذها.
- لم أكن أكرّس الوقت الكافيّ لمتابعة التزاماتي، ما يعني أنّي كنت أترك الكثير من الأمور دون متابعة، وكان هذا يمثل صعوبةً على الفريق أن يقدموا أفضل ما عندهم.
- كنت أصارعُ كي أمضي الوقت اللازم من الصمت والالتصاق بيسوع في أثناء الأيام العصيبة التي فيها اجتماعات مهمّة للتخطيط الاستراتيجي للخدمة.
- ولعلّ أسوأ الكلّ أنّي كنت لا أتبه إلى المؤشّرات المؤلمة أنّ حياتي وخدمتي ليست على المستوى الذي كنت أرجوه وأتحيلّه.

وصلتُ كلّ هذه الأمور إلى ذروتها عام ٢٠٠٧م عندما تجمّعت أحداثٌ مهمّةٌ عدّة لتكسر الإنكار الذي كنتُ أتبناه مُجاه أسلوب قيادتي والذي استمرّ عشرين سنة. وفي أثناء تلك السنوات، كان عليّ أن أعترف أنّ الكنيسة نفسها ارتطمتُ بجدار. فمع أنّ أعداد الأعضاء زاد، وعملنا على تضمين الصّحة الوجدانيّة والرّوحانية التأمليّة في حياة شعبنا، فإنّ الفاعليّة الإداريّة للكنيسة كانت كما هي في السابق. وصار واضحًا الآن أنّ مواجهة ذلك الفشل يجب أن يبدأ من عندي.

غير أنّي كنتُ أريد أن يأتي شخصٌ آخر و”يرتّب البيت الداخلي”، ويُنجز العمل السخيف المخصّص بالتوظيف، والفصل من العمل، وإعادة التوجيه، وقيادة الكنيسة في أثناء التغييرات المؤلمة، حتّى أركّز على الأمور الممتعة مثل الوعظ والتعليم. لكن عندما اخترتُ أن أتحبّب هذه الأمور الصعبة المتضمّنة في الدّور القيادي، كانت أماني

وأمانة الكنيسة على المحكّ. وفي النهاية اعترفتُ لنفسي بالحقيقة: أن العقبة الكبرى التي كانت تمنع الكنيسة أن تكون ما قصده الله لها هي أنا. ومرةً أخرى، كان عليّ أن أنظر إلى ما هو أعمق من السطح في حياتي- في هذه المرّة كان عليّ أن أنظر إلى الألم والفشل المتعلّقين بدوري أنا القائد. وما إن بدأتُ أفكّر في التغييرات التي عليّ القيام بها، حتّى أدركتُ أنّ من شأن تطبيق مبادئ الصّحة الوجدانيّة والروحانيّة التأمليّة على مهامّ القيادة وبناء ثقافة مؤسّسيّة صحيّة- أن يكون أكثر تعقيداً ممّا تخيلت. لقد كانت مسيرة قادّات إلى استكشاف مُستمرّ ومؤلمٍ لحياتي الداخليّة، وقادت في النهاية إلى تحوّلٍ رابعٍ في حياتي.

هناك حكمة شائعة ومترجمة في مجال القيادة، وهي أن يُفوّض القائد آخرين في الأمور التي تُعدّ من نقاط ضعفه، وفي الوقت نفسه من نقاط قوتهم. لكنني كنتُ أعلمُ أنّ هذا ليس ما أحتاجُ لأن أفعله. على العكس، لقد جعلتُ من نقطة الضعف الأكبر في مواهبي القياديّة، بؤرة تركيزي في عملي، وذلك بإضافة مسؤوليّات الراعي التنفيذي رسمياً إلى مسؤوليّاتي الرعويّة. جنون. أليس كذلك؟ لكنني كنتُ مُصمّماً أن أتعلّم كيفية أداء هذا الدور، على الأقلّ مدّة من الوقت. ألغيتُ ارتباطات الوعظ والتعليم خارج الكنيسة، وأسّستُ فريقاً للتعليم، رَفَضْتُ عقودَ تأليف كُتب، واشتركتُ في منهاج مشورة مكثّفة كي أكتشفَ العوائق العميقة في شخصيّتي التي تُسبّب ذلك الانسداد في حياتي- كلّ ما كان يعوقُ طريقي كي أكون القائد الصّحّي والفعّال.

وفي السنتين التاليتين، تعلّمتُ بعض المهارات المهمّة، والكثير منها لم يكن سهلاً التعلّم. وفي أثناء تلك المسيرة، ارتكبتُ أخطاءً جرّحت بعض الناس. وفي الوقت نفسه، صارتُ عندي شجاعةٌ أكبر واستعداداً لخوض مناقشات صعبة، ومتابعة التزاماتي، وجمع المعلومات والحقائق قبل اتّخاذ القرارات المهمّة. لقد أدركتُ أنّ

الأمانة والمصداقية أهم من أن يفهمني بعضهم خطأً، أو يترك آخرون الكنيسة بسبب قراراتي. ورغم أن هذه الأمور كثيرًا ما كانت مؤلمة، فقد تعلمت ليس فقط أن أعترف بالحق، بل أن أسعى أيضًا في سبيله، مهما كانت النتائج.

لم أكن راعياً تنفيذياً موهوباً، ولا صرتُ كذلك. لكنَّ الله استطاع، بما استثمرته في هذا المجال مدةً من الزمن، أن يتعامل مع أمورٍ في شخصيتي كانت تحتاج إلى تغيير حتى يُتاح للكنيسة أن تتقدم. وبواسطة بوتقة القيادة، تمكَّنَ الله من تخليصي من طبقات من الذات المزيفة، وعلمني الكيفية التي استخدم بها ذلك التغيير العميق في حياتي لتطوير قدراتي القيادية.

استشعر بالتحدي

وُلِدَ هذا الكتاب من رحِم الكثير من الصراع والنمو اللذين اخترتهما بعد تحوُّلي الرابع عام ٢٠٠٧م. وعلى مدى السنوات الثماني الماضية، احتفظت باليوميات التي كنتُ أكتبها، والتي كنتُ أسجِّل فيها، أولاً بأول، أسئلتي وصراعاتي الداخلية مع الله، وأخطائي، ونجاحاتي من حين إلى آخر. غير أنني حاولتِ بعزمٍ ألاَّ أولِّفَ هذا الكتاب. لستُ سوى رقيقٍ يعاني الانكسار الذي يعاينه كثيرون. أنا أكتبُ انطلاقاً من الدروس الصعبة التي تعلمتها من خبرات فشلي. وأتمنى لو تعلمتُ هذه الأمور في العشرينيات أو الثلاثينيات أو الأربعينيات من عمري.

لقد كتبتُ كلَّ صفحةٍ من صفحات هذا الكتاب وأنا أفكرُ فيك، أيُّها القائد المسيحي. وأتخيَّل نفسي جالساً أمامك إلى الطاولة نحسي القهوة، وأسألك عن أمالك وأحلامك فضلاً عن صراعاتك وتحدياتك في القيادة. وبعد حواراتي مع الكثير من الرعاة والقادة الذين ساعدتهم وتلمذتهم وقدمتُ إليهم المشورة على مرَّ السنين، فإنِّي أتخيَّل أنك يمكن أن تقولَ أموراً مثل الآتية:

أريد أن أكون قائدًا أفضل. أنا مُنفتح ومتشوق إلى التعلُّم، لكنني لا أدري أين يجب أن أبدأ.

أعلم أنّ هناك خطأ ما، وأشعرُ بأنَّ المسألة مسألة وقت، قبل أن يقع أمرٌ سيّئ.

لا أستطيعُ المواصلة بهذه الطريقتة. لقد ارتطمتُ بجدار، واحتجّجُ إلى المساعدة لأعرفَ أين الخطأ لأتمكّن من العودة والنهوض من جديد لأقودَ بطريقة مُختلفة.

أنا عالقٌ في بيئةٍ لا أستطيعُ تغييرها. أنا قائدٌ متوسّطٌ في بيئةٍ سلبيةٍ وأشعرُ بالعجز عن تغييرها.

أفعل كلَّ ما في وُسعي، لكن ليس لي تأثير. أدير برامج ولا أساعد على تغيير حياة الناس. أشعرُ بالجفاف والركود.

لديّ عملٌ هائلٌ يغمرنني حتّى إنّني لا أستطيعُ الاستمتاع بالحياة - مع الله، ومع نفسي، ومع الآخرين. أنا أفتقد إلى مُتّع الحياة بسبب المطالب الضاغطة للقيادة.

هل تشعر بأنّ مثل هذه العبارات تصف حالتك؟ إذا كنتَ كذلك، فأنت مؤهَّلٌ بامتياز لأن تتخذَ خطواتك المقبلة في النموّ والتغيير في القيادة.

أرجو عندما تبدأ بقراءة الصفحات المقبلة، أن تواجه الحقائق المؤلمة عن نفسك وعن قيادتك، لكنني لا أريدك أن تيأس من إمكانية التغيير في المستقبل. أنا مثالٌ حيٌّ على إمكانية تمزيق الأساليب القديمة للتفكير في القيادة المسيحيّة، وإتاحة الفرصة لأساليب جديدة. أريدك أن تنموَ وتمتدَّ لاهوتياً ووجدانياً وروحياً، عندما تكتشف أفكاراً ثاقبةً جديدةً من الكتاب المقدّس لحياتك وأسلوب قيادتك.

إذا أخذت هذا الكتاب بجِدِّيَّة، فسيطلب الكثير منك: عمَلُ شاق، ومُثابرة، وشفافيَّة وأمانة، وتواضع، واستعداد للتغيير. من المؤكد أنَّك ستشعر بالتحدي، لكنَّ صلاتي هي أن يُرافق ذلك التحدي قدرٌ مُكافئ من الرؤية الواضحة والمليحة للكيفيَّة التي يجب أن تتغيَّر إليها الأمور إذا اتَّخذت الخيارات الشُّجاعة التي ستسمحُ لله بأن يغيِّر حياتك وقيادتك. أرجو أن تبدأ سريعاً تفكُّر في أمور مثل:

كم يُمكن أن تكونَ القيادة أفضل جدًّا ممَّا تحيَّلت.

أشعرُ بأنِّي خطوتُ في بَوَّابة أخذتني إلى عالمٍ جديد لا أريدُ العودة منه.

من الصعب مواجهة الأساليب الفاشلة التي اتَّبعْتُها في الماضي، لكنَّ لديَّ رجاءٌ مُتجدِّدًا أنَّي قادرٌ من جديدٍ على القيادة بأسلوب جديد.

أخيرًا أشعرُ بأنِّي أنمو. أشعرُ بأنِّي أتحرك نحو واقعٍ جديد، ولا أريدُ العودة إلى الأسلوب الذي كنتُ أعيش به في السابق.

أشعرُ بأنَّ رغبتي في الخدمة وشوقي إليها بوصفي قائدًا يضطربان من جديد.

بمشاركة قصَّتي والدروس الصعبة التي تعلَّمتها على الطريق، أرجو أن أقدِّم إليك رؤى فريدةً وشخصيَّةً من راعٍ كان مُنخرطًا انخراطًا كبيرًا في كنيسة محليَّة على مدى أكثر من ثمانية وعشرين عامًا، خدمتُ فيها بصفة راعٍ مسؤولٍ ستَّةَ وعشرين عامًا، وفي الستين الأخيرتين صرتُ راعيًا مُعلِّمًا وراعياً عامًا. إنَّ كنيستنا في كوينز، نيويورك، تمثلُ الطبقة المتوسَّطة الدُّنيا الأفقر، وهي تضمُّ مهاجرين من سبعة وثلاثين بلدًا. إنَّها ليستُ بيئةً سهلةً بأيَّة حالٍ من الأحوال، لكنَّها كانت حقلاً غنيًا وخصبًا للنموِّ والتغيير- على المستوى الشخصيِّ وعلى مستوى القيادة.

لقد وُضِعَ هذا الكتاب انطلاقًا من شغفٍ حقيقيٍّ أن أرى الكنيسة مُخلصةً ومُثورةً

في إرساليَّتها على المدى البعيد. لكننا إذا كنَّا نأمل في تغيير العالم بالأخبار السارَّة عن يسوع، فيجب أن نبدأ برحلة شخصيَّة تقودنا إلى تغيير حياتنا بتغيير المناطق الأعمق من السطح في شخصيَّاتنا. في الصفحات المقبلة، أضع بين يديك خريطة طريق لهذه الرحلة بما فيها الأفكار والممارسات المحدَّدة والواضحة التي من شأنها أن تُساعدك على تمييز الخطوات الآتية التي يريدُها الله لك. إنَّها خريطةُ طريقٍ ليس فقط للرُّعاة، بل لجميع القادة المسيحيِّين كلِّ في مكانه - سواء كنتَ راعياً مسؤولاً، أم راعياً تنفيذياً، أم عضواً في فريق الخدمة في إحدى الكنائس، أم شيخاً/ شماساً عضواً في مجلس كنيسة، أم قائد مجموعة صغيرة، أم قائد إحدى الخدمات، أم عضواً في فريق عمل في كنيسة محليَّة أو هيئة مسيحيَّة غير كنسيَّة، أم مُرسلاً، أم قائداً في مجال العمل - أيًّا كنت بين هؤلاء، فإنِّي أصليُّ أن تجدَ في هذا الكتاب حقائق وإرشادات ليس فقط تُساعدك لتكون أكثر تأثيراً في دورك، بل لتغيَّر أيضاً على المستوى الشخصيِّ.

كيف تقرأ هذا الكتاب؟

جُمعتُ فصولُ هذا الكتاب في قسمين: يركِّزُ الأوَّل على الحياة الداخليَّة، والثاني على الحياة الخارجيَّة. في القسم الأوَّل، سأستكشف أربع مَهامَّ أساسيَّة للحياة الداخليَّة على كلِّ قائدٍ أن يُنجزَها: مواجهة الجزء المُظلم منك (الظَّل)، والقيادة إن كنت متزوَّجاً أو عازباً، والتمهُّل لتحقيق الوحدة بالمحبة، واختبار مُتعة السبت. إذا كنَّا نرجو أن نبنِّي خدماتٍ وهيئاتٍ قويَّة، فيجبُ أن تؤثرَ هذه الممارسات والقيَم بعمق في روحانيَّتنا.

في الجزء الثاني، سنبنِّي على أساسِ الحياة الداخليَّة الناضجة وجدانياً أربع مَهامَّ خارجيَّةٍ محوريَّةٍ نتعاملُ معها بانضباطٍ (روتينيًّا) في أثناء مسيرة القيادة المسيحيَّة. وهي تتضمَّنُ التخطيط واتِّخاذ القرارات، وتنمية الثقافة وبناء الفريق، والسُّلطة والحدود الصحيَّة، والنهايات والبدايات الجديدة.

إنَّ هذا الكتاب ليس من الكتب التي تُقرأ على عَجَل، بل المقصود أن يقرأه المرء بعنايةٍ مُصليًا. أدعوك الآن لأن تحتفظَ بدفتر يومياتك في أثناء القراءة، أو كراسة فارغة وتكتبُ أسئلتك وملاحظاتك بينما يتكلمُ الله إليك. إذا كنتَ تريد تعظيم تأثير ما تقرأه، فأشجّعك أن تدعوَ على الأقلَّ شخصًا آخر، والأفضل أن تفعل ذلك مع فريقك بأكمله، كي يقرأوا ويدخلوا معك الصراع نفسه.

رجائي أن يفتحُ لك هذا الكتابُ بابًا فيه أسلوبٌ جديدٌ تمامًا لرؤية نفسك، وجديدٌ تمامًا للقيادة. وكما دُعِيَ أبونا إبراهيم، فإني أومن بأنَّ كلاً منَّا مدعوٌّ لترك الأرض التي اعتادها ليتبعَ دعوةَ الله له إلى أرضٍ جديدةٍ - ملائمةً بالمواعيد. صلاتي أن تلتقي الإلهَ الحيَّ بوسائلٍ جديدةٍ ومنعشةٍ في أثناء ارتحالك بين هذه الصفحات، مُكتشفًا، حالك حال أبينا إبراهيم، أنَّ الربَّ يتقدّمك، لِيُعِدَّ لك غنيًّا جديدًا وإعلاناتٍ من شأنها، أن تُغيِّرَكَ، وتُغيِّرَ أيضًا من تقوِّدهم.

الفصل الأول

القائد غير الناضج وجدانياً

ما الذي يردُّ إلى ذهنك مباشرةً عندما تفكّر في القائد غير الناضج وجدانياً؟ أو ربّما يكون من الأفضل أن يكون السؤال: من الشخص الذي يردُّ إلى ذهنك عندئذٍ؟ أهو مُديرك في العمل، أم عضوٌ في فريق العمل الذي يعمل تحت قيادتك، أم زميلٌ لك؟ أو ربّما أنت نفسك؟ كيف يُمكنك أن تصفَ مثل ذلك الشخص؟ أهو شخصٌ غاضبٌ على نحوٍ مُزمن، ومُسيطر وعنيف؟ أو ربّما متجنّب، لا يتسمُّ بالصدق والأصالة وسلبِيّ؟ رغم أنّ القيادة غير الناضجة وجدانياً كثيراً ما تُعبّر عن نفسها بواسطة كلّ هذه الأساليب وغيرها، لكنّ التعريفَ الأساسيَّ للقائد غير الناضج وجدانياً ربّما يكونُ أبسط، وفي الوقت نفسه، أعقد ممّا يُمكن أن تتوقَّعه:

القائد غير الناضج وجدانياً هو شخصٌ يتصرّف في حالةٍ مستمرّةٍ من العجز الوجدانيّ والروحيّ، مفتقراً إلى النضج النفسيّ وإلى "الوجود مع الله"، وهما ما يحتاج إليهما "للعمل من أجل الله".

عندما نتكلّم عن القادة المسيحيين غير الناضجين وجدانيًا، فإننا نُشير إلى حالة من العجز في النُضج النفسي والروحيّ تؤثّر في كلّ نواحي الحياة. ويظهر هذا العجزُ الوجدانيُّ بصورةٍ أساسيةٍ في افتقارٍ شاملٍ إلى الوعي بالمشاعر، وعدم إدراك نقاط الضعف والمحدوديّة، والكيفيّة التي يؤثّر بها ماضيهم في حاضرهم، والطريقة التي يختبر بها الآخرون العلاقة بهم. كما أنّهم يفتقرون أيضًا إلى القدرة والمهارة اللازمتين للدخول بعمقٍ في مشاعر الآخرين، وإدراك منظورهم للأمر. وهم يحملون عدم نُضجهم هذا إلى الفرق التي يؤسسونها وكلّ ما يفعلونه.

من جهةٍ أخرى، فإنّ العجزَ الروحيّ يظهرُ في صورةِ النّشاط الزائد عن الحدّ، حيث ينخرطُ القادة غير الناضجين وجدانيًا في أنشطة أكبر ممّا يمكنُ أن يحتملَه مخزومهم الروحيّ والنفسيّ والجسديّ. إنهم يُعطون من أجل الله أكثر ممّا يأخذون منه، ويخدمون الآخرين كي يُشاركوا في فرح المسيح، لكنّهم كثيرًا ما يفشلون في الاختبار الحقيقيّ والعميق لذلك الفرح. كما أنّ مطالب القيادة وضغوطها تجعل من المستحيل لهم أن يؤسّسوا إيقاعًا ثابتًا ومستقرًا للحياة. وفي اللحظات التي يكونون فيها أكثر صدقًا وأمانة، يعترفون أنّ كأس حياتهم الروحيّة مع الله مُمتلئ إلى نصفه على أحسن تقدير، ولا يكونُ بتاتًا فائضًا بالفرح الإلهيّ والمحبة التي يُعلنونها للآخرين.

ونتيجةً لذلك، يؤسّس هؤلاء القادة خدماتهم بتوجّهٍ سطحيّ. وبدل أن يتبعوا نموذج الرسول بولس الذي كان يبني خدمته مستخدمًا كلّ ما يبقى وينجح في تحديّ الزمن والضغوط، كالذهب أو الفضة أو الحجارة الكريمة (١كورنثوس ٣: ١٠-١٥) - فإنّهم يرضون بأمرٍ مثل الخشب والقشّ والطين، ويستخدمون موادّ أقلّ قيمةً وثباتًا لا تستطيع أن تبقى إلى الجليل المقبل، كما أنّها لا تثبتُ في مواجهة نارِ الدينونة الأبدية. وفي أثناء تلك المسيرة، يحجبون جمالَ المسيح الذي يقولون

إنهم يريدون أن يُظهروه للعالم كله. لا يهدفُ أيُّ قائدٍ ذي نِيَّاتٍ طيِّبةٍ أن يقودَ بهذه الطريقة، غير أنَّ هذا ما يحدثُ طوالَ الوقت.

فكّر في هذه النماذج التي قد يسهلُ أن تميّزها في حياة القادة.

سارة: خادمة شبيهة تشعرُ بأنَّ مطالب الخدمة تغمُرُها وتحتاج إلى المساعدة، لكنّها دائماً ما تجدُ سبباً يجعلها تتجنّب تكوين فريق من الراشدين المتطوِّعين الذين يمكن أن يخدموا بجانبها كي تمتدّ الخدمة. لا تفتقرُ سارة إلى مهارات القيادة، لكنّها دفاعيّة يسهلُ أن تشعرَ بالإهانة عندما يختلف الآخرون معها. وهكذا فإنَّ مجموعة الشباب الذين تخدمهم يخربون الرُكودَ الروحيَّ ويتناقص عددهم.

يوسف: قائدُ تدريبٍ نشيط، لكنّه يخرس المتطوِّعين دائماً بسبب تأخره وافتقاره إلى التخطيط. لا يرى كيف أنَّ "أسلوبه" مع من لديهم سمات شخصيّة مختلفة، يُشعرهم بالاغتراب. إنّه ليس مستعداً أن يُجريَ تغييرات أو يستوعب أساليب أخرى أو شخصيّات أخرى مختلفة عنه، ويظنُّ أنّه بذلك يحاول أن يكون "حقيقيّاً" وأميناً مع نفسه. لذا مع الوقت تتناقصُ نوعيّة الأداء الموسيقيّ وفاعليّة قيادة الناس إلى محضر المسيح في فترات التسبيح في الاجتماعات. وهكذا بدأ المتطوِّعون ذوو الموهبة الموسيقيّة والتنظيميّة يتركون فريق العبادة.

يعقوب: منسّق متطوِّعٌ في خدمة المجموعات الصغيرة في كنيسته. وتحت قيادته، بدأت الخدمة بالازدهار؛ إذ تأسّست أربع مجموعات جديدة في الشهور الثلاثة الأخيرة. صار خمسة وعشرون شخصاً، لم يكنْ لهم من قبلُ اتّصالٌ بالمجتمع الكنسيّ، يجتمعون الآن كلّ أسبوعين، ويشاركون بشؤون حياتهم، وينمون معاً في المسيح. لكنْ خلف مشاعر الإثارة المُصاحبة لذلك النجاح، بدأت تظهرُ الشقوق. قائد المجموعة الأسرع نموّاً هو مَن انضمَّ حديثاً إلى الكنيسة، ويبدو أنّه يأخذ المجموعة إلى النجاة مختلف عن عُموم المجتمع الكنسيّ. بدأ يعقوب يشعرُ بالقلق، لكنّه يتجنّب الحديث

إليه خشية ألا يسير الحوار سيرًا حسنًا. كما ذكر قائد مجموعة أخرى ذكرًا عابرًا أن هناك عضوًا في مجموعته يتكلم كثيرًا، ويسبب إزعاجًا للمجموعة. وبدأت المجموعة تفقد أعضاءها. طلب قائد المجموعة مساعدة يعقوب، لكن يعقوب يتجنب مواجهة المشكلة. لذا فمع أن يعقوب محبوبٌ كثيرًا من الجميع، فهو ممن يتجنبون المواجهة. في الواقع، يتمنى يعقوب سرًا لو أن المشكلات تحل نفسها بنفسها دون تدخل منه. وفي غضون الشهر الستة التالية، توقفت ثلاث من المجموعات الأربعة الجديدة.

يمكن أن تطول وتطول قائمة الأمثلة، لكنني أعتقد أنك أدركت ما أريد قوله. فعندما نكرس أنفسنا لمحاولة الوصول إلى العالم برسالة المسيح في حين نتجاهل في الوقت نفسه صححتنا الروحية والوجدانية الشخصية، فإن أسلوب قيادتنا يصير، على أفضل تقدير، قصير النظر. وعلى أسوأ تقدير، نصير مهملين، ونجرح الآخرين دون داع، ونعرق رسالة الإنجيل بواسطة قيادتنا. القيادة صعبة، وهي تتضمن الكثير من المعاناة. لكن هناك فرقًا كبيرًا ما بين المعاناة الضرورية من أجل الإنجيل كما يصف بولس الرسول في رسالة تيموثاوس الثانية ٢: ٨، والمعاناة غير الضرورية التي تنتج من عدم استعدادنا لأن نؤدي بأمانة مهام القيادة الصعبة والمتحدية.

أربع سمات للقائد غير الناضج وجدانيًا

تؤثر عيوب القادة غير الناضجين وجدانيًا، في واقع الأمر، في كل ناحية من نواحي حياتهم وقيادتهم. لكن الضرر يكون واضحًا لا سيما في أربع سمات: ضعف الوعي بالنفس؛ وضع الخدمة قبل الأسرة/ أو حياة العزوبة؛ العمل من أجل الرب أكثر من اللازم؛ الفشل في ممارسة إيقاع العمل والراحة (السبت).

الوعي المنخفض بالنفس

القادة غير الناضجين وجدانيًا يميلون لأن يكونوا غير واعين بما يجري داخلهم.

حتّى عندما يشعرون بمشاعر قويّة مثل الغضب، فإنّهم يفسّلون في التعامل معها أو التعبير عنها بأمانةٍ وطريقةٍ سليمة.

إنّهم يتجاهلون الرسائل الوجدانيّة التي تُرسلها أجسادهم - مثل الإرهاق والمرض الناتج من الضغوط النفسيّة، أو زيادة الوزن، أو قُرحة المعدة أو الصّداع، أو الاكتئاب. كما أنّهم لا يُدركون الطريقة التي يُمكن أن تكون رسالة الله لهم بواسطة هذه المشاعر "الصعبة". كما أنّ من الصعب عليهم أن يُعبّروا عن الأسباب التي تدفعهم إلى الانفعال، وتكون تعبيراتهم المبالغ فيها في الحاضر نابعةً من الخبرات الصعبة التي مرّوا بها في الماضي.

ومع أنّ مثل هؤلاء القادة يمكن أن يستفيدوا من اختبارات الشخصية التي يخوضونها في إطار الخدمة وإعداد القادة مثل اختبار "مايرز بريغز" (Myers-Briggs) الذي يُحدّد أنماط الشخصية، أو اختبارات تحديد مناطق قوّة الشخصية، أو اختبار أنماط الشخصية المعروف باسم "ديسك" (DISC)، فإنّهم يظلّون غير واعين بالطريقة التي تؤثر بها أمورٌ من طفولتهم والأسر التي نشأوا فيها في حالتهم الحاليّة. ويمتدّ هذا الفقر في الوعي الوجدانيّ أيضًا إلى علاقاتهم الشخصية والمهنيّة حيث لا يستطيعون قراءة العالم الوجدانيّ للآخرين والتفاعل معه. في الواقع، هم عادةً ما لا يرون تأثيرهم الوجدانيّ في الآخرين، ولا سيّما في أدوارهم القياديّة. ربّما ستلاحظ ذلك في قصّة سام. سام: في سنّ السابعة والأربعين، وهو الراعي المسؤول لكنيسةٍ توقّف نموُّ عدد الحضور فيها عند حدٍّ معيّن. اليوم هو الثلاثاء صباحًا، وسام جالسٌ إلى رأس الطاولة حيث يُعقد الاجتماع الأسبوعيّ لفريق العمل. وهناك حول الطاولة أيضًا مساعد سام لشؤون الخدمات، والراعي المساعد، ومدير خدمة الشباب، وراعي خدمة الأطفال، وقائد العبادة والتسبيح، والمدير الإداريّ للكنيسة. وبعد الصلاة الافتتاحيّة، يبدأ سام بتحديث معلومات الفريق بشأن أرقام الحضور، والوضع الماليّ

في الشهور التسعة الماضية. لقد كان هذا الموضوعُ على جدول الأعمال من قبل، لكن يمكن في هذه المرة أن يلاحظَ بعضُ الحدَّة في أسلوب سام، ويستطيع كلُّ الجالسين في الغرفة أن يُدركوا أنَّه غير سعيد.

تساءل سام: "كيف سنستطيع شراء مبنًى جديدٍ كي نصل إلى المزيد من الناس برسالة المسيح، إذا كنَّا لا نمو الآن؟" صمَّت الجميع إذ لوحظَ وجودُ جوٍّ مُتوتِّرٍ حدًّا الأمل يسود المكان. وأضاف سام: "لقد أضفنا فقط عشرين شخصًا منذ بداية العام، وهذا لا يكاد يقرب من هدفنا أن نخدم خمسة وسبعين راشدًا في نهايته".

لقد شعرَ الجميع بقلق سام وإحباطه. وبدأ مُساعدُه يحاول تخفيف التوتُّر بالقول إنَّ سوء الأحوال الجويَّة في الشتاء الماضي كاد يؤدي إلى غلق الكنيسة تمامًا مرَّتين أيام الأحد، وبالتأكيد لهذا تأثيره في الأعداد. أمَّا سام ففرضَ هذا التعليق سريعًا، مُعلِّقًا أنَّ القضيةَ أعمق بكثير من ذلك. ورغم أنَّه لم يقل ذلك بوضوح، فإنَّ الجميع شعروا بأنَّه يلوم فريق العمَل على ذلك الفشل.

شعر سام بأنَّ من حقِّه أن يطرحَ الأسئلة الصعبة ويواجه الحقائق الواقعة، وكان يقول في نفسه: "إنِّي فقط أحاول أن أساعد الجميع كي نكون وكلاء أمناء على موارد الله. إننا نتقاضى رواتبنا من عشور الناس، ونحتاج جميعنا لأنْ نعملَ بجِدَّة ووعي كي نستحقَّ ما نتقاضاه من مال. هناك متطوِّعون يبذلون ما بين عشر ساعاتٍ وخمسة عشرة ساعة أسبوعيًّا دون أن يتقاضوا شيئًا! لكن حتَّى هو يشعر بالدهشة من كمِّ الغضب الذي يشعرُ به، والقسوة التي كان يتكلَّم بها.

لم يخطرُ ببال سام أنَّ لشعوره المتزايد بالإحباط أيَّة علاقةٍ بالرسالة الإلكترونيَّة التي وصلت إليه في اليوم السابق. فقد أرسل إليه شخصٌ من خارج المدينة رسالةً تحتوي على رابط لمقالة عن النموَّ السريع لكنيسة مزروعة حديثًا، تبعد عن كنيسته نحو ١٦ كيلومترًا فقط، وسأل المرسل سام إن كان يعرف ذلك الراعي الجديد.

شعرَ سام عندئذ بتقلُّص في معدته وشدَّ في عضلات كتفه عندما قرأ هذه المقالة. لقد كان يعرف جيّدًا أنّ عليه ألا يعطي مجالًا للمقارنة ولا يشعر بالمنافسة عندما يتعلّق الأمر بالخدمة، لكنّه لم يستطع إلّا أن يشعر بالاستياء من الراعي الجديد والنجاح الذي حقّقه. ورُغم أنّه لا يستطيع أن يعترف لنفسه بذلك، فقد شعر أيضًا بالتّهديد، والخوف أن تترك بعض الأُسَر الحديثة كنيسته وتنضمّ إلى تلك الكنيسة الجديدة الأكثر إثارة والأسرع نُموًا.

وبعد أن أعطى كلّ الجالسين إلى الطاولة مهلةً مدّة أسبوع كي يُحدّدوا ثلاثة أساليب يُطوِّرون بها أداء الخدمة وبرامجها، قرّر سام أن ينهي الاجتماع بغتة، دون الخوض في ما تبقى من النقاط المطروحة على أجندة الاجتماع. لا يدرك سام أنّ افتقاره إلى الوعي بالنفس أثر سلبيًا فيه، وفي فريق عمله، وفي الكنيسة أيضًا.

يعطي الخدمة أولويّة على حياته الزوجيّة أو حياة العزوبة

سواء كان القادة غير الناضجين وجدانيًا متزوِّجين أم عازبين، فإنّهم يؤكّدون أهميّة الحميميّة الصحيّة في العلاقات، لكنّ قليلين منهم يملك رؤية حياتهم الزوجيّة أو الفرديّة للعازبين بينهم، بوصف تلك الحياة العطيّة الأعظم التي يُمكن أن يقدموها إلى الآخرين. وبخلاف ذلك، هم يرون أنّ زواجهم أو حياة العزوبة التي يعيشونها، هي أساسٌ ثابتٌ ومُستقرٌّ، ينطلقون منه إلى أمرٍ آخر أهمّ، وهو بناء خدمة فعّالة، التي هي في الواقع أولويّتهم القصوى. ونتيجةً لذلك، هم يستثمرون أفضل أوقاتهم وجُلّ طاقتهم في سبيل جعل أنفسهم قادةً أكفأ، ويستثمرون فترات وقتهم في تنمية زواجهم وحياتهم الفرديّة متى كانوا عازبين، مع أنّ تلك الحياة هي الوعاء الأهمّ لإعلان يسوع للعالم.

يميل القادة غير الناضجين وجدانيًا إلى تقسيم حياتهم الشخصيّة (سواء في الزواج أم في العزوبة) وفصلها عن أدوارهم القياديّة أو علاقتهم بالمسيح. مثلًا، هم يتّخذون قراراتٍ مختصّةً بدورهم بوصفهم قادةً دون التفكير في التأثير الممتدّ لتلك

القرارات في نوعية حياتهم الزوجية أو الفردية واستقامتها. إنهم يكرسون أفضل طاقتهم وتفكيرهم وقدرتهم الإبداعية من أجل قيادة الآخرين، لكنهم يفشلون في الاستثمار في خلق حياة شخصية (زوجية أم فردية). فلننظر مثلاً إلى قصة لويس.

لويس: راعي الشباب في سن السابعة والعشرين، ويخدم في فريق عمل كنيسة صغيرة متسارعة النمو، وفي السنوات الثلاث الأخيرة، نما حضور الكنيسة من ١٥٠ إلى نحو ٢٥٠ شخصاً. الوقت الآن بعد العاشرة مساءً ليلة الخميس، ولويس مازال يعمل حتى وقت متأخر، وهذه ليست المرة الأولى بالتأكيد. انتهى منذ ساعة تقريباً اجتماع درس الكتاب للطلبة الذي يعلم لويس فيه، لكنه لا يزال جالساً إلى مكتبه يقرأ ويبعث رسائل إلكترونية متأخرة. فعلاوة على عمله المعتاد، وضع على عاتقه أيضاً مسؤولية إطلاق عدد من المبادرات الكرازية في المجتمع في إطار ما حسبته متابعة من حضروا الكنيسة في خدمة عيد القيامة. عندما بدأ لويس بالعمل في الكنيسة منذ ثلاث سنوات، كان يظن أن إيقاع العمل سيهدأ بعد ذلك، لكن هذا لم يحدث؛ إذ كان الإيقاع يتسارع.

يجب لويس عمله، ولا يمانع في العمل على هذه المشاريع الإضافية، لكن تزايد ساعات العمل أصبح قضية في البيت. فمنذ أن تزوج بصوفيا قبل أربع سنوات، كانت زوجته من أكثر مُشجعيه؛ فهي تعترف بمواهبه، وتدفعه لأن يتبع دعوة الله له للخدمة. لكنها في الآونة الأخيرة لم تكن مساندة له بالقدر نفسه، بل إنها تعترف أحياناً أنها تشعر بالغيرة من عمله، وتساءل ما إذا كان يجب الكنيسة أكثر مما يجبها هي. يعتقد لويس أنها مرهقة ليس أكثر؛ فهي في الشهر الثالث من حملها الأول، وقد كان حملاً صعباً، وربّما هذا هو ما جعلها تفقد رؤيتها لأهمية عمله.

يتساءل لويس: كيف لا أقدم أفضل ما لدي للكنيسة، في حين يتعلّق الأمر بحياة الناس وأبدانهم؟ يجب أن تفهم صوفيا ذلك الأمر. أخيراً يغلق لويس حاسوبه

النَّقَالِ ويطفئ الأنوار، ويتنهَّد بصلاة: رجاء يا رب، أشعل قلب صوفيا بروية جديدة لأهيمية ما فعله في هذه الكنيسة. ولا يدرك أنه يجرح زوجته، وأن هذه الصلاة لن تغير هذه الحقيقة.

يعملون من أجل الرب أكثر مما تحتمل علاقتهم الشخصية به

يفعل القادة غير الناضجين وجدانيًا أكثر مما تسمح به طاقتهم وذلك بصورة مُزمنة. ورغم أنه تكون لديهم عادة مهام أكثر مما يسمح به وقتهم، فإنهم يستمرون في القبول التلقائي لكل ما يُطلب إليهم، وما يفتح أمامهم من فرص للخدمة، قبل أن يحاولوا أن يميزوا، بالصلاة، مشيئة الله. ويُعدُّ غريبًا لهم مفهوم الروحانية المتمهِّلة - أو القيادة المتمهِّلة - التي فيها يجب أن ينبع ما يفعلونه من أجل يسوع من كونهم مع يسوع.

وإذا خطر الأمرُ بالهم أصلاً، فإنهم يرون أن تضيعة الوقت في الخلوة والصمت هو رفاهية، أو شيء يُناسب نوعًا آخر من القادة، وليس جزءًا من ممارساتهم الروحية، أو ضروريًا لتحقيق فاعليتهم في القيادة. أولويتهم القصوى هي قيادة المؤسسة، أو الفريق، أو الخدمة، بوصفها الطريقة الوحيدة للتأثير في العالم برسالة المسيح. وإذا سألتهم عن أهم ثلاث أولويات لهم يعتقدون أن عليهم تضيعة وقتهم فيها بوصفهم قادة، فمن غير المتوقع أن تجد في قائمتهم أولوية تنمية علاقات عميقة مغيرة بالله والآخرين. ونتيجة لذلك، فإن السمة التي تكاد تكون "طبيعية" لحياتهم وعلاقاتهم هي التشرُّد والجفاف والفراغ. ربما تجد نفسك أو تجد شخصًا تعرفه في قصة كارلي.

كارلي: في سن الرابعة والثلاثين، وهي قائدة تسبيح في كنيسة يبلغ عدد أعضاؤها ٨٠٠ عضو. وصلت كارلي إلى هذا الدور بعد أن بدأت بوصفها موسيقية متطوعة منذ عشر سنوات عندما كان عدد الحضور يبلغ ١٠٠ عضو. علاوة على قيادتها لفريق تسبيح من المتطوعين، والتخطيط لخدمات الكنيسة في نهاية الأسبوع، هي تشرف على فريق مسؤول عن الخدمات الإجتماعية. وهو عمل ضخم يشترك

فيه عشرات المتطوعين، وأربعة متفرغين، لكنّها بصورةٍ ما تجعل العمل يبدو سهلاً. في الواقع، هي تتقن ما تفعله كثيرًا، حتّى إنَّ باري (Barry)، الراعي المساعد المشرف عليها، يتحدّثها كلّ سنةٍ أن تضعَ على عاتقها المزيد من المسؤوليّات.

لكن يبدو في الآونة الأخيرة أنّ كارلي لم تُعدّ تستطيع أن تواصل بالكفاءة نفسها. بدأت تصل إلى الاجتماعات متأخرة، وتجاوزت مرّتين الموعد النهائيّ لتسليم بعض المشاريع الصغيرة، ولم تُعاود الاتّصال بمكالماتٍ مهمّة وصلتها. غير أنّها تثقُ بأنّ الأمور لا تزال على ما يُرام؛ لأنّ عملها في الكنيسة يزدهر. لكن في اللحظات التي تكون فيها أكثر أمانة وصدقًا في مواجهة نفسها، تتابها الشكوك في نفسها: كيف يُمكن أن تكون الأمور على ما يرام من الخارج، في حين أشعرُ بأنّي أموتُ بالتدرّج من الداخل؟ ما بين قيادة الاجتماعات الصباحيّة، وحلّ الأزمات التي تحدّثُ دوريًا تقريبًا في الفِرَق المختلفة، والأمور التي تحدث في البيت، لم يُعدّ لكارلي الوقت الكافي لنفسها، ولا تبقت لديها طاقةٌ كي تُمضي وقتًا مع الله في الصلاة أو الكلمة. وتُعدّ معركةً أسبوعيّةً أن تستطيع الذهاب لشراء أغراض البقالة، أو طهو بعض الوجبات نصف الصحيّة، أو ممارسة بعض الرياضة، أو غسل الملابس. أمّا مخالفة السُرعة التي تلقّتها في الأسبوع الماضي، فهي تُعدّ تعبيرًا واقعيًا عن أسلوب حياتها التي صار إيقاعه سريعًا أكثر من اللازم. وفي الآونة الأخيرة، قالت لباري رئيسها المباشر: "أشعرُ بالغرق. أبنّي الكنيسة وأحاول أن أرتبّ الأجواء للآخرين كي يتقابلوا مع الله، لكنّي أشعرُ بأنّي فقدتُ يسوع في الطريق. أحتاج إلى ما يجعلني أشعرُ بالتواصل مع الله من جديد".

كان باري مُتعاطفًا ومُتفهّمًا، واقترحَ عليها بعض الكُتب التي ساعدته، وعرضَ أن يدفعَ لها تكاليف حضور المؤتمر التدريبيّ المقبل لقادة التسبيح. لكن لا يوجد كتابٌ أو مؤتمرٌ يُمكن أن يتعامل مع الأمور العميقة في حياة كارلي أو أن يمنحها ما

تحتاج إليه حقاً؛ إذ إنَّ ما تحتاجُ إليه هو المزيد من الوقت كي تُبطئَ من إيقاعها حتَّى تستطيع التواصل مع الله والآخرين، والتواصل مع نفسها أيضاً.

غياب إيقاع العمل والراحة (السبت)

لا يارسُ القادة غير الناضجين وجدانياً السبت، وهو أربعة وعشرون ساعة كلَّ أسبوع، نتوقُّ فيها عن كلِّ أشكال العمل كي نستريح ونتلذذ بعطايا الرَّبِّ، ونستمع بالحياة معه. ربَّما يحسبون أنَّ حفظَ يوم السبت هو أمرٌ اختياريٌّ، أو حتَّى نوعٌ من الناموسية التي تنتمي إلى الماضي السحيق. أو ربَّما لا يفرقون ما بين الممارسة الكتابية الروحية للسبت، ويوم الإجازة الذي يستخدمونه للقيام بأعمال حياتية غير مدفوعة الأجر مثل دفع الفواتير، والذهاب إلى التسوق، وإنهاء الالتزامات على اختلافها. وإذا كانوا يارسون السبت، فهم يفعلون ذلك بصورة متقطعة وغير منتظمة، معتقدين أنَّ عليهم أولاً الانتهاء من أعمالهم قبل أن يارسوا السبت. أو عليهم أن يعملوا باجتهادٍ شديد حتَّى ”يستحقُّوا“ الراحة. لاحظْ هذا الأمرَ في حياة جون.

جون: في سنِّ السادسة والخمسين، ويخدم بصفة قائدٍ في إحدى الطوائف حيث يُشرفُ على أكثر من ستين كنيسة. لم يحصل جون منذ سنوات على إجازة حقيقية، وأعني تلك الإجازات التي لا تقرأ فيها الرسائل الإلكترونية ولا تكتبُ أيَّ شيء، كما أنَّه لا يارسُ السبت الأسبوعي. اليوم هو السبت، وهو يتناول القهوة الصباحية مع كريغ، وهو راعٍ صديقٌ لجون منذُ مدَّةٍ طويلة، قبل أن يتَّجه إلى مكتبه ليُتابع رسائله ويكتب تقريره الشهري الذي كان يجب أن يكتبه الأسبوع الماضي، لكنَّه لم يستطع.

يقول كريغ: ”جون، تبدو مُتعباً جداً. متى كانت آخر مرَّةٍ حصلتَ فيها على إجازةٍ، ولو كانت يوماً واحداً، لتستريح بالفعل؟“.

”سنستريح عندما نذهب إلى السماء. على الأقل، هذا ما كان يقوله لي أستاذي في كلية

اللاهوت منذ ثلاثين سنة. الله يعمل دائمًا، ويجب أن نشاركه العمل، أليس كذلك؟“.

لكن كان من الواضح أن جون مُتعب حدَّ الاستنفاد الكامل.

أجابه كريغ: ”أعلم أنك تُحِبُّ عملك، لكن ماذا يوجد في حياتك الآن يعطيك

السرور والفرح؟“.

بعد لحظاتٍ من الصمت، كان جون فيها مُنكسًا رأسه، أجاب قائلاً بصوتٍ

خافتٍ واهن: ”لقد مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ أن كان لديّ الوقت لأفكر في مثل هذا

السؤال. لا أعرف ما عليّ قوله“.

بعد لحظاتٍ أخرى من الصمت، أضاف: ”ماذا يُمكن أن أفعل؟ كلُّ الرُّعاة

والمسؤولين الذين أعرفهم يعملون بالطريقة نفسها“.

أجاب كريغ بابتسامة لطيفة: ”حقًا؟ أهذا هو عُذرك؟“.

أجاب جون: ”معك حقٌّ. سأعود إلى عطلةٍ يوم الاثنين“.

بعد ساعة، عندما وصل جون إلى المكتب، ألقى نظرة على رزنامته أدرك أنّها

مُمتلئة بالمواعيد والواجبات التي عليه إنهاؤها خمسة من أيام الاثنين الستة المقبلة،

وبدأ يقول لنفسه: مَنْ أخدُع؟ إنّ أخذَ يومٍ إجازةٍ أسبوعيّةٍ ليس عمليًّا لي الآن. سأحاول

أن أخطفَ يومًا عندما يتيح لي ذلك جدولي المُزدحم. لكن على الأرجح لن يسمَحُ

جدولُ جون له بذلك. وحتىّ إذا حصلَ على إجازةٍ يومٍ واحدٍ من وقتٍ إلى آخر،

فلن يكون ذلك كافيًا له كي يستطيع تأسيس إيقاعِ العمل والراحة الذي يحتاجُ إليه

كي يكون القائدَ الصحيحَ والفعالَ لفريقه وللكنائس التي يُشرف عليها.

في بداية هذا الفصل، سألتك: مَنْ يتبادرُ إلى ذهنك عندما تتساءل عن القائد غير

الناضج وجدانيًا؟ كيف تتفق هذه السّمات التي حاولنا استكشافها، مع أفكارك المبدئيّة

عن القيادة غير الناضجة وجدانيًا؟ هل وجدتَ نفسك في أيٍّ من هذه الأمثلة؟ ربّما

تقول في نفسك: نعم، أشبه أغلب هذه الشخصيات، ولدي الكثير من هذه السمات. وربّما لا تزال مُتشكِّكًا فتقول: هذه هي طبيعة القيادة. أعرف أشخاصًا ربّما أسوأ من وَضَع المذكورين في ما يتعلّق بالصحةِ الوجدانيّة، لكنّهم قادة فعّالون. صحيح أنّ هذه السمات والقصص لا تبدو مأساويّة، لكنْ بمرور الوقت سيدفعُ هؤلاء القادة والخدمات حيث يخدمون، ثمناً باهظاً إذا استمرَّ هذا السلوك غير الناضج وغير الصحيّ دون فحص.

إذا كنّا نَنقُذُ على أنّ النتائج بعيدة المدى للقيادة غير الناضجة وجدانيًا هي خطرٌ على صحّة الكنيسة وفعاليتها، فالسؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا: لماذا نستمرُّ في مثل هذه الأنماط غير الصحيّة؟ ربّما تعتقد أنّ الكنيسة وقادتها سيكونون دائماً في صفّ القيادة الناضجة والصحيّة ومستعدّون لفعل كلّ ما يُمكن لتحقيقها. لكنّ الحقيقة هي أنّ هناك أجزاءً من ثقافة القيادة الشائعة في الكنيسة تعمل بعكس مفهوم القيادة الناضجة وجدانيًا.

إذا اخترت أن تسعى بتصميمٍ إلى تحقيق القيادة الناضجة وجدانيًا، فستواجه بعض "النيران الصديقة". وسيكون عليك أن تدخل معارك ضدّ ما أسميه الوصايا غير الصحيّة الأربعة للقيادة غير الناضجة وجدانيًا.

إلى أي مدى تُعدُّ قيادتك ناضجة وجدانيًا؟

عدم الصحّة (النضج) الوجدانيّة للقيادة ليس مسألة إمّا الكلّ وإمّا لا شيء؛ فهي تقع على طيفٍ مُتّصلٍ تتراوح فيه درجة عدم النضج من البسيط إلى المتوسّط إلى الشديد، وقد تتغيّر من موسمٍ في الحياة إلى آخر ومن خدمة إلى أخرى. يُمكنك أن تستخدم القائمة الآتية من الجمل التي تُعبّر عن عدم الصحّة الوجدانيّة للقيادة، وذلك كي تقيّم الحالة التي أنت فيها الآن. بعد كلّ جملة من الجمل، اكتب الرّقم المناسب لها من وجهة نظرك بحيث يكون الرقم:

- ٥ = صحيح دائمًا.
 ٤ = صحيح غالبًا.
 ٣ = صحيح أحيانًا.
 ٢ = صحيح نادرًا.
 ١ = ليس صحيح بتاتا.

١. — أمضي وقتًا كافيًا لاختبار المشاعر الصعبة والتعامل معها، مثل الغضب والخوف والحزن.
٢. — أستطيع أن أُميّز الكيفية التي تؤثر بها الأمور المتوارثة من الأسرة التي نشأت فيها في علاقتي وقيادتي - سلبيًا أو إيجابًا.
٣. — (إذا كنت متزوجًا): تعكس الطريقة التي أبذل بها وقتي وطاقتي حقيقة أن زوجي - وليس قيادتي - هو أولويتي القصوى.
- (إذا كنت عازبًا): تعكس الطريقة التي أبذل بها وقتي وطاقتي حقيقة أن حياتي الصحيّة بصفتي عازبًا - وليس قيادتي - هي أولويتي القصوى.
٤. — (إذا كنت متزوجًا): أختبر العلاقة المباشرة ما بين الائتُحاد الذي بيني وبين يسوع، والائتُحاد الذي بيني وبين زوجتي.
- (إذا كنت عازبًا): أختبر العلاقة المباشرة ما بين الائتُحاد الذي بيني وبين يسوع، والائتُحاد الذي بيني وبين أسرتي وأصدقائي.
٥. — مهمها كنت مشغولًا، فإنني أمارس بانتظام انضباطاتي الروحية من الصمت والاختلاء.
٦. — أقرأ الكتاب المقدس بانتظام، وأصلي كي أستمتع بالشركة مع الله وليس فقط من أجل الخدمة والقيادة.

٧. — أمارسُ السبت - أربعٌ وعشرون ساعة في الأسبوع أتوقَّفُ فيها عن العمل وأستريح وأستمعُ بعطايا الله الكثيرة.
٨. — أحسبُ السبتَ انضباطًا روحيًا ضروريًا لحياتي الروحية وخدمتي وقيادتي.
٩. — أمضي الوقت مُصلّيًا في التفكير والتمييز قبل التخطيط واتخاذ القرارات.
١٠. — أقيسُ نجاحَ التخطيط واتخاذ القرار بالقدرة على تمييز مشيئة الله وعَمَلها (بدلًا أن أقيسه فقط بالنموِّ في أعداد الحُضور، أو تطييع البرامج بامتياز، أو زيادة مساحة التأثير المنظور في العالم).
١١. — للَّذين تحت قيادتي المباشرة، أكرِّسُ باستمرارٍ جزءًا من وقت الإشراف عليهم لمساعدتهم في حياتهم الداخلية مع الله.
١٢. — لا أتحبُّ الحوارات الصَّعبة مع أعضاء الفريق بشأن أدائهم أو سلوكهم.
١٣. — أشعر بالراحة عندما أتكلَّمُ عن استخدام السُّلطة في ما يتعلَّق بدوري أو أدوار الآخرين.
١٤. — وضعتُ حدودًا صحيَّةً، وعبرتُ عنها بوضوح في العلاقات التي تتميزُّ بالأدوار المتداخلة (مثلًا، الأصدقاء والأقرباء، الذين هم في الوقت نفسه موظَّفون أو مُتطوِّعون يشغلون أدوارًا مهمَّة... إلخ).
١٥. — بدلًا تحبُّ مواجهة النِّهايات والحسائر، أتقبَّلُها وأراها أجزاءً أساسيةً من الطريقة التي يعمل الله بها.
١٦. — أستطيع مُصلّيًا ومفكرًا أن أنخلِّي عن المبادرات والمتطوِّعين أو البرامج التي لا تعملُ جيِّدًا، وأفعل ذلك بوضوح وبرفق.

خصّص بضع دقائق لمراجعة إجاباتك. ما الذي يبرزُ بقوة أمامك؟ رغم أنه لا توجد نتيجة رقمية محدّدة لهذا التقييم، ففي نهاية الفصل هناك بعض الملاحظات العامة التي يمكن أن تُساعدك كي تفهم وَصَعَكَ جيّدًا.

مهما كانت نتيجة اختبارك لنفسك في هذا المجال، فإنّ الأخبارَ السارّة أنك يمكن أن تتقدّم وتدرّب لتكونَ قائدًا ناضجًا وجدانيًا على نحوٍ متزايد. لقد شكّل الله أجسادنا وعقولنا مُعطيًا إيّاها قدرةً كبيرةً على التغيّر والتحوّل، حتّى ونحنُ في التسعينيات من أعمارنا. وهكذا فإذا كانت مواجهة أسلوب قيادتك تتسبّب في بعض القلق، فلا تحزّن. إذا أمكنَ شخصًا مثلي أن يتعلّم وينمو في كلّ خبرات الفشل والأخطاء التي ارتكبتها، فيمكن لكلِّ منّا أن ينمو ويصبحَ قائدًا ناضجًا وجدانيًا.

الوصايا الأربع غير الناضجة (وغير المنطوقة) للقيادة الكنسيّة

إنّ لكلِّ أسرةٍ "وصايا"، وهي تلك القواعد الخاصّة بما هو مقبول وغير مقبول أو يُقال أو يُفعل. ونحنُ نتشرّب هذه الوصايا التي تحكّم حياة أسرنا، ونُطيعها طاعةً تلقائيّةً بينما نكبّر. إذا كانت أسرنا أمانًا للدّفء والأمان والاحترام، فإنّنا نتشرّب هذه السمات مثل الهواء الذي نستنشقّه. ويتشكّلُ فهمنا لأنفسنا والطريقة التي نتفاعلُ بها مع العالم. على خلاف ذلك، إذا كان الطبيعيُّ والمألوفُ في أسرنا هو البرودة والخزي والإحباط والهوس بالكمال، فإنّنا نتشرّب هذه الصفات طبيعيًّا، وهي أيضًا تحدّدُ لنا الطريقة التي نرى بها أنفسنا وتتعامل بواسطتها مع العالم.

لقد وُلدنا رويًّا بالطريقة نفسها في أسرة الكنيسة التي لها كذلك وصاياها غير الناضجة وغير المنطوقة. وإذا أردنا أن نصير قادةً ناضجين وجدانيًا، فسوف نحتاجُ، آجلًا أو عاجلًا، أن نواجه ونقاوم كلّ تلك الوصايا أو بعضًا منها.

الوصية غير الصحبة الأولى: ليس النجاح نجاحًا إلا إذا كان الأمر أكبر وأفضل تعلم أغلبنا أن مقياس النجاح هو العلامات الخارجية. في إطار الكنيسة، إننا نقيس بصورة تقليدية الأمور بمقاييس مثل أعداد الحضور وعدد الخدام وأعداد الذين نالوا المعمودية والعضوية، وكذلك عدد المجموعات الصغيرة، ومقدار العطاء المادّي. ولنكن واضحين هنا أنه ليس هناك ما هو سيء في الأرقام، فإن قياس تأثير الخدمة بالأعداد هو أمر كتابي. يوصينا يسوع أن نصنع تلاميذ من جميع الأمم. وأكثر من مرة، يستخدم سفر الأعمال لغة الأرقام ليصف تأثير الإنجيل - أكثر من ٣٠٠٠ آمنوا واعتمدوا (أعمال ٤: ٤)، جمهور كبير من الرجال والنساء كانوا يقبلون إلى الإيمان (أعمال ٥: ١٤). لدينا سفر كامل في الكتاب المقدس يدعى "سفر العدد". من الطبيعي أي وكل الرعاة الذين عرفهم، نرغب أن نرى كنائسنا تنمو في العدد وتضيف أشخاصًا جددًا من أجل المسيح.

لكن فلنكن أيضًا واضحين: هناك طريقة خاطئة للتعامل مع الأرقام. فعندما نستخدم الأرقام لمقارنة أنفسنا بالآخرين ونتفاخر بحجم كنائسنا وخدماتنا، فإننا نتجاوز الخط الفاصل ما بين الصواب والخطأ. عندما كلف داود النبي يواب أن يجري تعدادًا لكل الرجال المحاربين، بدافع الكبرياء، حيث توقف داود عندئذ عن وضع ثقته بالله، بل بحجم جيوشه، كان يعد تركيزه على الأعداد ضربًا من الوثنية، وجلب الله وباءً شديدًا دينونة على كل الأمة بسبب هذه الخطية (١ أخبار ٢١؛ ٢ صموئيل ٢٤). ومات سبعون ألف شخص.

النمو العددي هو ما يقرنه العالم بالقوة والتأثير، حاسبين إياه قيمة مطلقة - الأكبر هو دائمًا أفضل. إذا كنت تدير شركة أو مؤسسة أكبر، فسوف يعطيك الناس قيمة أكبر ممن يمتلك شركة صغيرة ناشئة. إذا كنت مليونيرًا فسوف تتوقع أن يعاملك الناس باحترام وخضوع أكثر، مثلًا، من شخص يعيش على المعونة الحكومية. وإذا

كنت تعمل في كنيسة، فإنَّ حجمَ فريقك أو حجمَ خدمتك، سيؤثّر في الطريقة التي ينظر بها الناس إليك.

عندما يتعلّق الأمرُ بالكنيسة، فإنَّ المشكلة ليست في أنّنا نُجري العدّ والإحصاء، بل في كوننا قد اعتقنا بالكامل منظورَ العالم، في أنّ الأكبر هو الأفضل وأنّ الأرقام أصبحت هي الشيء الوحيد الذي نحسبه. فعندما لا يكونُ شيء ما أكبر وأفضل، فإنّنا نحسبه فاشلاً، وإذا حكمنا على أنفسنا بهذه الطريقة، فإنّنا نحسب أنفسنا قد فشلنا. وما نغفله في كلّ هذه الحسابات هو القيمة التي يضعها الكتاب المقدّس على المحدّدات الداخليّة. ومن ثمّ فإنّ ما يحسبه العالم فشلاً، ليس دائماً هو كذلك في كلمة الله.

مثلاً، فبعد النجاح المبهر ليسوع في تعليم خمسة آلاف شخص وإطعامهم في بداية الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا، نرى بعد فقرات قليلة، فشلاً من الناحية العددية. ”من هذا الوقتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمَسُون مَعَهُ“ (يوحنا ٦: ٦٦). لم يبدأ يسوع بالقلق والتساؤل عن أسلوبه في الوعظ، بل ظلّ راضياً، عالماً أنّه في قلب إرادة الآب، وكان لديه منظورٌ أكبر لما يفعله الله.

ليس النجاح دائماً، كلّ ما هو أكبر وأفضل.

لقد علّمنا يسوع أنّ علينا أن نثبت فيه وهكذا نأتي بشمّر كثير. (انظرُ يوحنا ١٥: ١-٨). ليس الأمرُ مسألة اختيار شيءٍ بدلَ آخر - إمّا أن نُشير وإمّا أن نثبت في يسوع. أمّا شكل الثبات والإثارة، فيتوقّف على دعوتنا الفريدة في القيادة. الرُهبان المتوحّدون الذين يُمضون أغلب أوقاتهم في الصلاة وتقديم الإرشاد الروحيّ يحملون نوعاً وكماً مختلفين من الثمر عمّا يمكن أن أحمله أنا، راعي كنيسة، في نيويورك.

ربّما نجدُ المثل الكتابيّ الأفضل على ذلك في إنجيل البشير لوقا ١٠، حيث أرسل يسوع سبعين تلميذاً اثنين اثنين. وعندما رجعوا كانوا مُتحمسين بسبب النتيجة العددية لخدمتهم، علاوة على أنّ الشياطين كانت تخضع لهم باسمه. أكّد يسوع أهميّة

خدمتهم، لكنّه ذكّرهم أيضًا بأمرٍ أهمّ: «وَلَكِنْ لَا تَفْرَحُوا هَذَا: أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرْبِ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ» (لوقا ١٠: ٢٠). بكلمات أخرى، كان يريدهم أن يتذكروا أنّ فرحهم يأتي من علاقتهم به وليس من إنجازاتهم من أجله.^١

كيف يمكننا إذاً أن نقاوم هذه الوصية التي تقول إن الأكبر دائماً أفضل؟ أعتقد أنّ الطريق الوحيد هو أن نبطئ إيقاع حياتنا كي نُحقّق علاقة عميقة من المحبة والاتّحاد بيسوع (نجدُ المزيد عن ذلك في الفصل الرابع)، وأن يكون لنا بعض الرُفقاء الموثوق بهم الذين نحمي أنفسنا من خداع الذات بواسطة المشاركة الآمنة معهم. عندما أجد نفسي أفكّر بحسب طريقة «الأكبر هو الأفضل»، فعادةً ما أ طرح على نفسي هذا السؤال: «هل رؤية النموّ تلك التي أنقلها إلى الآخرين، نابعة من طموحاتي الشخصية، أم من فم الربّ» (انظر إرميا ٢٣: ١٦-٢٠).

الوصية غير الصحيّة الثانية: ما تفعله أهمّ ممّا تكونه

ما نفعله منهم بالفعل، لكنّ إلى حدّ معيّن.

إنّ الكفاءة والمهارة للقيام بدورك في الكنيسة مهمّ جدًّا، سواء كنت عضواً في مجلس الإدارة أم راعياً أم قائد خدمة أو مجموعة صغيرة، أم عضواً في فريق التبشيع، أم من الذين يرحّبون بالآخرين، أم متطوعاً في خدمة الأطفال، أم قائداً في مجال العمل. ومن المرجو أن تدرك ذلك، وتريد أن تنمّي مهاراتك وتزيد فاعليتك.

لكنّ ما تكونه أهمّ جدًّا ممّا تفعله. لماذا؟ لأنّ محبة يسوع فيك هي العطيّة الأعظم التي يجب أن تُعطى للآخرين. إنّ لحقيقة كينونتك والكيفية التي تُحبُّ بها الآخرين تأثيراً في الذين حولك، على نحو أكبر جدًّا ممّا تفعله. وسيكون لحقيقة كونك مع الله (أو عدم كونك معه) الغلبة دائماً على ما تفعله من أجل الله.

إنَّ فاقَدَ الشيءَ لا يعطيه؛ فنحن لا نستطيع إلا أن نُعطي ممَّا لنا بالفعل.

يمكننا أن نُعطي رسائلَ وعظيَّةَ مُلهمةَ عن أهميَّةِ التغيُّرِ الروحيِّ والاستمتاع بالرحلة مع المسيح. يُمكننا أن نقتبسَ الكُتَّابَ المشهورين، ونعظُّ بحقائقٍ غنيَّةٍ من الكتاب المقدَّس، ونستطيعُ أن نصوغَ مدَّوناتَ ماهرةَ وتغريداتَ عميقةَ المعنى. لكنَّ إنَّ لم نعيش الحقائق التي نُعلِّمها؛ وإنَّ لم نختبرَ شخصيًّا التغيُّرَ الحقيقيَّ الذي نكرزُ به، سيكونُ النموُّ والتحوُّلُ الروحيُّ لمن نخدمهم مُتقزِّمًا دائمًا. أنا لا أقول هنا إنَّه لن يكونَ هناك أيُّ تأثير، بل أقول إنَّه سيكونُ تأثيرًا ضئيلًا وضحلاً.

ثوبُ بانيِّ أعرفُ ما أقول، وقد عشتُه بنفسِي.

لقد أمضيتُ السنواتِ الأولى من خِدْمَتِي بصفة راعٍ أقدامُ عظامٍ لم يكن لديَّ الوقت الكافي كي أعيشها بصبرٍ وهدوءٍ وتأملٍ. كُنْتُ أقول في نفسي: كيف يُمكن أن يستوعبَ القادةُ كلَّ الحقائق التي يُعلِّمونها أسبوعيًّا وكيف يمكنهم أن يعيشوها، وفي الوقت نفسه يوفونَ بكلَّ المطالب التي تفرضها القيادة؟ لم أعملُ بما يكفي على حياتي الداخليَّة، ولم أحاولُ أن أستوعبَ الكيفيَّةَ التي أثمرتِ الأسرة التي نشأتُ فيها في حياتي بصفتي قائداً. لم أكن مُستعدًّا لأن أجلس مع قائِدٍ ناضِحٍ روحياً أو مُشيرٍ لأنظُرَ إلى الأمورِ الأعمق في حياتي. لقد كُنْتُ مشغولاً أكثر من اللازم في بناء الكنيسة، وجعلتُ كلَّ الأمورِ العظيمة تحدثُ فيها. لقد أدركتُ أنَّي ما دمْتُ أستخدم مواهبي من أجل الله، وثمار قيادتي حقيقيَّةً وواضحة، فكلُّ شيءٍ على ما يُرام - حتَّى لو كانت حياتي الداخليَّة تعجُّ بالفوضى والقلق.

لقد كُنْتُ مُخطئًا.

وسرعانَ ما ظهرتُ آثارُ حياتي الداخليَّة في حياتي الخارجيَّة وخِدْمَتِي. وكيف يُمكنُ ألا يحدثُ ذلك؟ ولا سيِّبًا عندما لم أستطع أن أدرك أنَّ حقيقتي من الداخل مع الله كانت أهمَّ كثيرًا ممَّا أفعله من أجله.

لقد كانت هويّة يسوع مؤسّسة بقوة في كونه حبيب الآب قبل أن يعمل أيّ شيء من أجل الله في حياته وخدمته العلنيّة. في السنوات الثلاثين الأولى من حياة يسوع، لم يفعل أيّ شيء فائق للعادة. لكنّه قبل البدء بخدمته العلنيّة، قال له الآب: "أنت هو ابني الحبيب الذي به سررت" (لوقا ٣: ٢٢).

والتجارب الثلاث التي وجّهها الشيطان إلى يسوع بعد أربعين يوماً من الصوم في البريّة كانت مركّزة بصورة خاصّة على قضية الكينونة في مُقابل العمل (متّى ٤: ١-١١). لقد بدأت اثنتان من التجارب الثلاث بجملة: "إن كنت ابن الله... [افعل كذا]". وعرضت الثالثة على يسوع رشوة كي يجعله الشيطان يسجد له ويعبده. لقد كان الشّرير مُصمّماً أن يجعل من أعمال يسوع - بدل كونه مع الله - الأساس لحياته وخدمته. وأعتقد أنّ هذه دائماً ما تكون من أوائل التجارب التي يُجرب بها الشيطان كلّ قائد. وعندما نستسلم لها، فإننا نندفع مباشرة في مبادرات لم يطلب الله أن نفعّلها، وشيئاً فشيئاً، نُصبح مُنصليّن عن محبة الآب.

ماذا نفعّل كي نُقاوم تأثير هذه الوصية؟ ردّد من بعدي: ما أفعله مهمّ، أمّا ما أكونه فأهمّ بكثير. تذكّر دائماً أنّ أولويّة يسوع كانت أن يكون مع الآب. راقب العلامات الداخليّة التي تُخبرك بأنك تجاوزت حدود قدراتك، وأنك تفعل من أجل الله أكثر ممّا يمكن أن تحتمله قوة العلاقة الشخصيّة به (مثلاً، فُقدان السلام والتوتر والاندفاع). اجعل من طلب وجه الرّب وعمل مشيئته، الأولويّة القصوى والهدف الأوّل لحياتك.

الوصية غير الصحيّة الثالثة: لا بأس بالروحانيّة السطحيّة

كنتُ أفرّض على مدى سنوات أنّ أيّ إنسان يحضر الكنيسة بانتظام ويستمتع للتعليم الكتابي - في كنيستنا وفي الكنائس الأخرى - سوف يختبر تحوّلاً روحياً. وافترضت أنّ قادة التسيّح الموهوبين والمسوحين يتمتّعون بالشّغف تجاه المسيح في حياتهم

الخاصة، مثلما يبدو عليهم في العبادة العلنية. وافترضت أن الرعاة، وفرق العمل الإداري، والمرسلون، وأعضاء مجالس إدارات الكنائس، والخدام في الهيئات المسيحية غير الكنسية يُكرسون أنفسهم تكريسًا دائمًا لتغذية علاقتهم الشخصية العميقة بيسوع.

لقد كانت افتراضاتي خاطئة. والآن أنا لا أفترض شيئًا، بل أسأل.

أسأل القادة وأطلب إليهم أن يخبروني عن الكيفية التي يُنمون بها علاقتهم بالله. أ طرح أسئلة مثل: "صف لي إيقاع حياتك. كيف تدرس الكتاب المقدس لغير قصد التحضير للعظات؟ متى تُحضي مع الله وقتًا بمُفردك؟ وكم يبلغ هذا الوقت؟". وأسألهم عن الكيفية التي يُنظمون بها أوقاتهم مع الله مع ما يفعلونه من مهمات. وكلما طرحت مثل هذه الأسئلة على رعاة وقادة مسيحيين حول العالم، شعرت بالقلق؛ فأغلب القادة ليست لديهم إجابات جيدة عنها.

المشكلة هي أنه مادام القادة غالبًا يؤدّون أدوارهم (سواء كانوا متطوعين أم متفرغين مدفوعي الأجر)، فالكل راضون. إذا كانت الخدمة تنمو، فالكل متحمسون. فمن نحن لنحكّم ما إذا كانت علاقة أحدهم بالمسيح سطحية أو فقيرة؟ أتفق مع عدم الرغبة في الحكم والإدانة، لكننا نريد أن نكون قادرين على التمييز. فلأننا نمتلك المواهب والمهارات التي تجعلنا قادرين أن نجمع الجموع ونولّد الكثير من النشاط، فهذا لا يعني أننا نبني فعليًا كنيسة أو خدمة تستطيع أن تجعل الناس يتواصلون بصورة حميمة مع يسوع. إنني أحبّ وصية الربّ لصموئيل النبي: "فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لِأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ. لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ» (١ صموئيل ١٦: ٧). بـكلمات أخرى، يجب ألا ننظر ببساطة إلى الخارج، بل يجب أن نهتمّ بالقلب، مُبتدئين بقلوبنا نحن.

تأمل في ذلك التاريخي. في القرن السابع، كانت الكنيسة في المنطقة العربية وشمال أفريقيا تبدو مزدهرة ومثمرة. كان لديهم تاريخٌ غنيٌّ يعودُ إلى القرن الأول. كانوا غايةً في الدقة لاهوتياً، وكان بينهم قادةٌ معروفون وأساقفةٌ يفتخرون بعلمهم، كما كانوا يُمارسون تأثيراً قوياً في الثقافة التي كانوا يعيشون فيها. ومع ذلك، فقد انتشر الإسلام في هذه البلاد في مدةٍ وجيزةٍ متغلباً على هذه الكنائس. ويتفق أغلب مؤرخي الكنيسة أن الكنيسةَ عموماً كانت مضروبةً بالروحانيَّة السطحيَّة التي لم تستطع أن تتحمَّل التوسُّع الكبير لذلك الدين الجديد. انقَسَمَت الكنائسُ المحليَّةُ بعضها عن بعض بسبب نقاطٍ عقائديَّةٍ بسيطة، وكانت كلُّ طائفةٍ ترفضُ أن تعترفَ بحضور المسيح في الطائفة الأخرى. وعلاوةً على ذلك، فشلوا في ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية، وهي اللغة السائدة في ذلك الوقت. ونتيجةً لذلك، في حين كان الحضور في هذه الكنائس كثيفاً والعطاء المادِّي مستقرّاً، لم يكن الناس متأصّلين في المسيح. وبسبب عدم وجود أساسٍ روحيٍّ قويٍّ لهذه الكنائس، انهارت بسرعةٍ أمام انتشار الدين الجديد.^٢

كيف يُمكننا أن نتغلَّب على خداع هذه الوصيَّة المميّته؟

بالإبطاء من إيقاعنا، وتكريس أنفسنا للتعلُّم من التقليد التأمليِّ وكتابات قادة الكنيسة في هذا المجال على امتداد التاريخ، والتعلُّم من الكنيسة الواسعة، والمؤمنين الذين قد يكونون مختلفين عنّا في أوجهٍ عدّة، لكنّ لديهم الكثير ممّا يُمكن أن يُعلِّمونا إيّاه عن أمورٍ مثل الصّمت والاختلاء والهدوء أمام الله، بينما نحولُ رسالةً خلاصٍ المسيح للعالم من حولنا.

الوصيَّة غير الصحيَّة الرابعة: لا تُزعِج الاستقرار، مادام العمل يُنجز

في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، أدان النبيُّ إرميا قادةً شعب الله؛ لأنّهم كانوا مُتصالحين مع حالةٍ زائفةٍ من السلام والأمان، فكان النبيُّ يرثي لحالهم

قائلًا: "وَيَشْفُونَ كَسْرَ بِنْتِ شَعْبِي عَلَى عَثَمٍ قَاتِلِينَ: سَلَامٌ، سَلَامٌ. وَلَا سَلَامٌ" (إرميا ٦: ١٤). أستطيع أن أتخيل أن هؤلاء القادة القدامى كانوا يُشبهوننا إلى حدٍّ كبير. كانوا يتجنبون، بل أيضًا يُنكرون وجودَ المشكلات والصراعات؛ لأنهم كانوا لا يريدون زعزعة الاستقرار.

وبعد آلاف السنين، لم يتغيّر الكثير في هذا الصدد. تتميّز غالبية الثقافة الكنسيّة المعاصرة، باللطف الزائف والسطحيّة الشديدة. إننا نحسبُ الصراع علامةً على وجود أمرٍ خطأ، لذلك فإننا نفعلُ كلَّ ما في وسعنا لتجنّبهِ. نُفضّلُ أن نتجاهلَ الأمور الصعبة، ونرضى بالسّلام الزائف، راجين أن تختفيَ المشكلات مع الوقت من تلقاء نفسها.

لكنّ هذا لا يحدث.

كنتُ أنعمى على مدى سنواتٍ عن مشكلاتٍ موجودةٍ ما بين أفراد فريق العمل، كان ينبغي أن أواجهها بسرعةٍ وبطريقةٍ مباشرةٍ - بدءًا من التحضير الضعيف للمهامّ التي ينبغي إنجازها، إلى عدم كونهم متاحين للشعب، إلى الإدانة المتبادلة، إلى غياب الروحانيّة الفرديّة وقضاء الوقت مع الله، والرّيجات التي لم تكن بخير. وليس هذا إلّا سوى قليلٍ من الأمثلة. كان اهتمامي الأوّل، أو هذا ما كنتُ أفترضه، أن تظللَ الكنيسةُ تتحرّك نحو الأمام وتتزايد أعداد الحضور، أمّا أن أخوض في المياه الموحلة للصراعات والحوارات الصعبة، فكان أمرًا يُشعّرني بأنّي أتوقّف في حين عليّ أن أتقدّم نحو الأمام ولا أبالي بهذه الأمور. لكنني اكتشفتُ أنّي لا أستطيعُ أن أبني كنيسة الله بالأكاذيب والتظاهر بما ليس موجودًا. لقد اكتشفتُ أن الأمور التي تجاهلتها قد انفجرت في نهاية الأمر، وصارت مشكلاتٍ كبيرةً وخطيرةً. يجب أن نطرح الأسئلة المؤلّة الصعبة التي نُفضّلُ تجاهلها، وإلّا فإنّ الكنيسة ستدفعُ ثمنًا باهظًا لاحقًا.

لم يتجنّب الرّسول بطرس قطُّ زعزعة الاستقرار، وإقلاق المسيرة حتّى وسط

اجتماعات النهضة، بل واجه حنانيا وسفيرة عندما تظاهرا بما هو ليس حقيقتَهما (أعمال ٥: ١-١١). فعندما باع برنابا حقلاً وتبرّع بكلِّ ثمنه للكنيسة، اقتدى حنانيا وسفيرة به، لكن مع فارق بسيط: أنّهما تظاهرا بأنّهما يتبرّعان بكلِّ المبلغ، لكنّهما احتفظا سرّاً بجزء من المال لأنفسهما. وعندما واجههُما الرسول بطرس، تبيّن أنّهما كذبا. لقد تظاهرا بأمرٍ لم يكن حقيقتَهما، ودفعاً حياتهما ثمنَ الكذب، وماتا في الحال في الكنيسة. يالها من قصّةٍ مريرة! غير أنّها درسٌ فعّالٌ للقادة، عن الحاجة إلى مواجهة الصراع والحوارات الصعبة بدل الهرب منها.

كثيراً ما أتساءل: ما الذي كان ليحدث لتلك الكنيسة الوليدة المكوّنة من خمسة آلاف شخص لو كان بطرس قد سمح لذلك النوع من الكذب بأن يمرّ دون أن يتحدّاه تحت شعارٍ عَدَمِ زعزعة الاستقرار؟ أكان ممكناً أن يمتدّ مثل هذا التفاخر والتظاهر إلى الأُسُر، واجتماعات القادة، وخدمات العبادة، ويؤثّر أيضاً في الوصول إلى المجتمع؟ هل كانت الكنيسة ستمتّع بقوة الشخصية والنُضج كي تستمرّ في طاعة مشيئة الله كما يصفُ سفرُ أعمال الرسل؟ هل كان ممكناً أن تنطفئ قوّة الروح القدس ويتعثر امتداد الكنيسة؟ لحسن الحظّ، لا نحتاج إلى التخمين؛ إذ وضع الرسول بطرس، برفض مثل ذلك السلام الزائف، أساساً صلباً بُنى عليه الاستقامة الأخلاقية للكنيسة، ومن ثمّ يؤسّس عليه مستقبلها.

إذا سمحنا لأنفسنا ولنوعيّة قيادتنا أن تتشكّل بفعل هذه الوصايا الخاطئة غير المنطوقة، حتّى كانت على نطاقٍ ضيقٍ - فذلك سيُزيد من احتماليّة وقوع نتائج كارثيّة على المدى البعيد. ويُجتمَلُ أنّنا سنُدَمِّرُ أنفسنا جسدياً ونفسياً وروحياً، وعلى مستوى علاقاتنا أيضاً. وربّما نُدَمِّرُ كذلك أُسْرنا وأصدقاءنا؛ لأنّهم سيحصلون فقط على قُتات اهتمامنا وطاقتنا، وما يزيد الطين بلّةً أنّنا سنُدَمِّرُ مَنْ نخدمهم. وستسبّبُ أيضاً في ضررٍ مَنْ نخدمهم بالفشل في مساعدتهم للوصول إلى النُضج الروحي والنفسيّ

الذي يُمكنهم من تقديم حياتهم للعالم. كان يُمكنُ أن أُنَجِّبَ الكثيرَ من السنوات الضائعة، والألم الذي لم يُكنْ لهُ داعٍ، لو أنّي أدركتُ هذه الوصايا، وقاومتُها في السنوات الأولى من خدمتي.

يتطلبُ تعلُّمُ أن تكونَ قائداً ناضجاً وجدانيًا الكثيرَ من الوقت

ربّما تتساءل: "ماذا أفعل الآن إذا؟" إنّ المتبقي من الكتاب هو دعوةٌ للذهاب في رحلةٍ لتكونَ قائداً ناضجاً وجدانيًا- قائداً يُمكن أن يبيّنَ خدمةً ناضجةً وجدانيًا من أجل المسيح في العالم. هذا ليس هدفًا سهلاً. في الواقع، إذا قرّرتَ أن تسلكَ هذا الطريق، فسوف تختبرَ دون شكِّ فتراتٍ من الحيرة والارتباك والخوف والحزن. إنّها حالةٌ أعرفُها جيّدًا. ويُمكنني أيضًا أن أقولَ لك إنَّ محاوِلكَ ربّما تتخذُ هيئةَ همساتٍ من الذاتِ الناقدة والصوت الحامي للنفس في داخلك، يقول لك جملاً مثل:

أنت لا تدري ما عليك فعله.

هل تُدرك ما يُمكن أن يحدث إذا اتَّخذتَ هذا الطريق؟

دون شك، يُمكنك أن تحاول أن تكونَ ناضجاً وجدانيًا، لكن لن يحترمك أحدٌ، وستضمحلُّ الكنيسة وتلاشى.

لماذا تُجربُ أن تقودَ بهذه الطريقة؟ كثيرٌ من القادة ليسوا كذلك، ويبدو أنّهم ناجحون وبخير!

واجهِ الأمر: هذا لن يَنفَع معك.

ليس لديك وقتٌ لهذا الآن. جرِّبه لاحقًا، عندما تهدأ الأمور قليلاً.

أعرف هذا الصوتَ جيّدًا. ثقبُ بي عندما أقول لك إنَّ عليك ألا تستمع لهذا الصوت. اعلم أنّ الله يدعوك لتأخذَ فقط خطوةً واحدةً كلَّ مرّة. يفهمُ الله أيضًا أنّ

النمو والتغيير يتطلّب وقتًا. ومن خبرتي الشخصية، تتطلّب حتى التغييرات البسيطة نسبيًا سنواتٍ أحيانًا كي تُطبّق بالكامل (انظر "خمس مراحل للتعلّم والتغيّر" في نهاية هذا الفصل). يرى الله أسلوبَ قيادتِكَ الحاليّ، والسياق الذي يتّم فيه، والتحدّيات المحيطة بك، وهو يعلمُ ما تحتاجُ إليه، ليس فقط لتواجه التحدّيات، بل أيضًا كي تنمو لتصيرَ قائداً أقوى بفضل تلك التحدّيات. ربّما تشعرُ بالوحدة أحيانًا، لكنّ هذا أيضًا يُمكن أن يكونَ جزءًا من خُطة الله لتعليمك أن تثقَ به وتنتظره. يمكنك أن تتوقّع أن يرسلَ الله إليك أشخاصًا مهمّين، ومواردٍ في وقتها بالتّمام، كي تُساعدك على اتّخاذ الخطوة المقبلة. لقد كان دائمًا يفعل ذلك معي. احرصْ على دعوة آخرين ليُصلُّوا معك ويُساندوك في الطريق.

أهمُّ شيء هو أن تتذكّر دائمًا أنَّ الروحَ القدس الذي فيك سيرشدك دائمًا إلى كلّ الحقِّ، ويضمنُ لك قوَّةً فائقةً للطبيعة. وعلى مرّ السنين، مرّت بي أوقاتٌ في مناسباتٍ عدَّة شعرتُ فيها بالعجز؛ لأنّي كنتُ أفترقُ إلى الحكمة ونُضج الشخصية الذي أستطيعُ به أن أواجه تحديّات القيادة التي واجهتني وأتغلبَ عليها. وفي تلك الأوقات بالتحديد كان الله يُدكّرني: تشدّد وتشجّع... عند الناس غير مُستطاع، ولكنّ ليس عند الله، لأنّ كلّ شيءٍ مُستطاعٌ عند الله (يشوع ١: ٩؛ مرقس ١٠: ٢٧).

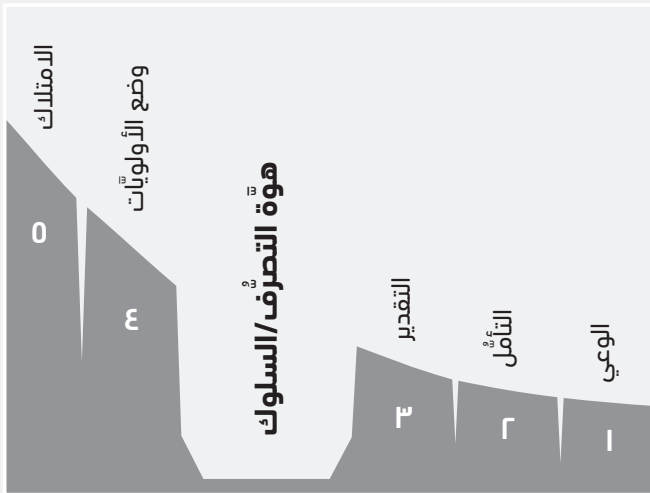
فلنبدأ.

المراحل الخمس للتعلّم والتغيّر

بنيامين بلوم (Benjamin Bloom)، عالم نفس تربويّ مشهور. عملَ مع فريق من المفكرين على تصنيفِ بارعٍ يصفُ الكيفيّة التي يتعلّم بها الناس في المجالات المختلفة. وقد نُفّح هذا التصنيف، وجرّت مراجعته مرّاتٍ عدّة في السنوات السّتين الأخيرة. ويظلُّ هذا التصنيف أشبه بالمقياس في الكثير من

الأنظمة التعليميّة حول العالم.^٣ يميّز بلوم خمسة مستويات من معرفة قيمة ما أو «إدراكها»، ونحن نميلُ لأنْ نفكّر بطريقةٍ من طريقتين: أعرفُ شيئًا، أو لا أعرفُ شيئًا. مثلًا، يُمكن أن أقول إنّي أقدرُ قيمةَ الاهتمام بالفُقرَاء، أو إنّي لا أقدرُ قيمةَ الاهتمام بالفُقرَاء، لكنّ ما لا نفهمه دائمًا هو أنّ «إدراك» قيمةٍ جديدةٍ هو أمرٌ يتطلّب وقتًا، والكثير من الخطوات الصغيرة المتعاقبة. في الواقع، يتطلّب الأمرُ المرورَ بخمسة مستويات مُتميزة.^٤

فلأشرح الطريقة التي سارت بها رحلتي إلى أن وصلتُ إلى إدراكِ قيمة التمهّل وإبطاء إيقاع حياتي لأُمضي المزيدَ من الوقت مع يسوع.



١. الوعي: «فكرة إبطاء الإيقاع فكرة مثيرة للاهتمام». في عام ١٩٩٤م، كانت المرّة الأولى التي أفكّر فيها في هذا الأمر بجديّة، وذلك عندما كنتُ أختبرُ الألم في حياتي الشخصية وفي خدمتي بوصفي قائدًا.

٢. التأمّل: "ساعدني أن أفهم المزيد عن التمهّل وإبطاء الإيقاع". عندما بدأت رحلة النضج الوجدانيّ سنة ١٩٩٦م، استمعتُ لرسائل كثيرة عن التمهّل ووعظت عنه في عظامي.

٣. التقدير: "أومن بأنّ من المهمّ للجميع أن يتمهّلوا". بدأت في ممارسة بعض السلوك مثل السبت والاختلاء والخلوة ليوم واحد مع الله، لكن لم تتغيّر تصرّفاتِي وسلوكي بصورة كبيرة، وعلى مدى سنواتٍ عدّة.

٤. وضع الأولويات: "أن أغيّر حياتي تغييراً جذرياً حتّى يتسنّى لي أن أمهّل وأبطئ إيقاعي لأكون مع يسوع". عندما ذهبتُ في عطفتي السبتيّة الثانية ما بين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤م، أعدتُ ترتيب أولويات وفتي، وطاقتي، وجدول أعمالِي، لكي أضمنّ تلك القيمة الجديدة مدّة أربعة أشهر كاملة. لقد ساعدني ذلك أن أبدأ بدايةً قويّةً في طريقة جديدة للقيادة والحياة انطلاقاً من تلك القيمة. لقد كان الأمر معيّراً للحياة.

٥. الامتلاك: "أصبحت كلُّ قراراتي وأفعالي مؤسّسة على هذه القيمة الجديدة". وكي أنتقل من الأولويّة إلى الامتلاك، احتجتُ إلى مدّة ما بين ستّ وثمان سنوات. لقد كان عليّ أن أفعل الكثير لأوفّق ما بين تلك القيمة ومطالب الدّور الرّعوي في كنيسة "الحياة الجديدة"، وتحديات ذلك الدّور. ورغم أنّي أفضل أحياناً، فإنّ الإبطاء والتمهّل لأكون مع يسوع، صارَ قيمةً مُحدّد كلاً ما أفعله. لقد صارَ جسدي بأكمله يتنفّض كلّما انتهكتُ، أو انتهك شخصٌ آخر من حولي، ذلك المبدأ.

ستلاحظ أنّ هذا الجدول يبيّن الهوّة ما بين المستويين الثالث والرابع - التقدير ووضع الأولويات. لماذا؟ لأنّ هذه هي النقطة التي تحتاجُ إلى نقلٍ جذريّة، وكثيراً ما تكونُ صعبة. الكثير من القادة يُحبّون أفكارَ الروحانيّة

الناضجة وجدانيًا ومبادئها. لكنَّ التحرك من تقدير قيمة الشيء، إلى حسبانه أولويَّة يمثِّل تحدِّيًا رهيبًا. وأستطيع أن أفهمَ السبب.

لذلك أودُّ أن أشجِّعك: لن تحدثَ التغيرات التي تنشدها بين ليلةٍ ومُصباحها، لكنَّها ستحدثُ حتمًا. خصِّص وقتًا، وقرأ ببطء. ضع نفسك بين يدي عناية الله، واطلب إليه أن يقودك إلى الخطوة المقبلة في تلك المسيرة. هناك آلاف القادة حول العالم يسرون في هذه المسيرة معك، وقد بدأوا فعلاً. يختبرون تحوُّلاً قويًّا في كلِّ حياتهم على المستوى الشخصي والقيادي أيضًا. استمرَّ وثابر، وسرَّ خطوةً بعد خطوة؛ فلن تظلَّ كما أنت، ولن يظلَّ مَنْ تقودهم كما هم، إن كنتَ بالفعل ستسير في هذا الطريق.

تقييم مستوى نضجك وصدِّقك الوجدانيَّة بوصفك قائدًا

إذا طبَّقت اختبارَ تقييم القيادة في هذا الفصل، فهذا هي بعض الملاحظات التي من شأنها أن تُساعدك لفهمَ بصورةٍ أفضلَ الوضع الحاليَّ لقيادتك.

إذا كانت أغلب إجاباتك ما بين ١ و٢، فإنَّ قيادتك غير ناضجة غالبًا، وأنت تتصرَّف وجدانيًّا مثل طفلٍ أو رضيع. إذا كان ذلك يبدو قاسيًّا، فيمكنك أن تطمئنَّ وذلك عندما تعرف أنَّك لست وحدك. لقد كانت هذه هي الحالة التي وجدت نفسي فيها بعد سبعة عشر عامًا في الإيمان بالمسيح، وأحملُ درجةً علميَّةً في اللاهوت، ولديَّ ثماني سنوات من خدمة الرعاية الكنسيَّة. وأغلب الرعاة الذين أقدم المشورة لهم، في المكان نفسه. إنَّ النموَّ إلى الرُّشد الروحيِّ والوجدانيِّ يتطلَّب سنواتٍ وسنواتٍ، وليس مجردَ أيَّامٍ أو شهور، فخذ نفسًا عميقًا واسترخ؛ لأنَّك لست بمفردك.

إذا كانت أغلب إجاباتك ما بين ٢ و ٣، فقد بدأت الرحلة بالفعل، لكنك تتصرّف وجدانيًا على مُستوى المراهق. حياتك المسيحية تتمحور غالبًا حول الفعل، وليس الكينونة، وأنت تشعر بتأثيرات ذلك في روحك وشخصيتك. لا تزال تحتاج لأن تُطبّق قِيَمًا شخصيةً مهمّةً في حياتك، مثل التمهّل وإبطاء إيقاع حياتك كي تكونَ مع يسوع، أو أن تضعَ أولويةً لزوجك/ أو حياتك الشخصيةً بوصفك عازبًا- على الطريقة التي تقود بها فريقك. لديك وعيٌ بنقاط قوّتك وضعفك ومحدويّاتك، لكنك لا تزال تحتاج إلى بعض العمل في هذا المجال، والله يدعوك إلى حياةٍ داخليةٍ أقوى وممارسات روحيةٍ أعمق حتى يُمكنك أن تأخذَ فريقكَ وخدمتكَ إلى مستوىٍ آخر. عندما تستمرُّ في قراءة هذا الكتاب، توقّع أن تواجهَ تحدياتٍ على المستوى الشخصي وعلى مستوى قيادتك في مجالاتٍ مهمّةٍ عدّة.

إذا كانت أغلب إجاباتك ما بين ٤ و ٥، فقيادتُك ناضجةٌ وصحيّةٌ، وأنت تمارسُ على الأغلب القيادةَ على مستوى الراشد. لديك حسُّ صحيٌّ بنقاط قوّتك وضعفك ومحدويّاتك بوصفك قائدًا. تستطيع توكيد معتقداتك وقيمك بعيدًا عن العدوانيّة. تحمي علاقاتك وتضعها في أولويّاتها الصحيحة، مثل علاقتك الزوجية (إذا كنت متزوجًا)، أو علاقتك بأصدقائك أو أسرّتك. لديك إحساسٌ جيّدٌ بهويّتك بوصفك قائدًا، وبالكيفية التي تتعامل بها مع مَنْ هم حولك. أنت على الطريق السليم كي تجعل أساسك المتين لكلِّ ما تفعله من أجل الله هو وجودك مع الله. توقّع المزيد من الوضوح والبصيرة، سواء لك شخصيًا أم لمن تقودهم، حيث تستمرُّ في تطبيق هذه المبادئ في حياتك وقيادتك.